الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

آليات الحِجَاج في خُطَب الحَجَّاج

* دراسة تداولية *

مذكرة معتمدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية في تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالب :
محمد شكيمة

إشراف الدكتور:
العزوزي حرزولي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
نصر الدين وهابي	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
العزوزي حرزولي	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
عباس عبد الرؤوف	أستاذ مساعد	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1436 – 1437 هـ / 2015 – 2016 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

آليات الحِجَاج في خُطَب الحَجَّاج

* دراسة تداولية *

مذكرة معتمدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة العربية في تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالب:

محمد شكيمة

إشراف الدكتور:

العزوزي حرزولي

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة

السنة الجامعية: 1436 – 1437 هـ / 2015 – 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي
وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

﴿ البقرة: 258 ﴾

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

فمصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من لا يشكر الناس لا يشكر الله ﴾

يشرفني أن أتقدَّم بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير إلى كل من مدَّ يد المساعدة وساهم معي في تذييل ما واجهتني من صعوبات في هذا العمل ونخص بالذكر

الأستاذ المشرف الدكتور * العزوزي حرزولي * الذي لم يبخل عليَّ بتوجيهاته وإرشاداته القيمة لإتمام هذا العمل

الأساتذة الأفاضل: سليم حمدان – مسعودة الساكر – طارق خلايفة

أساتذة اللغة العربية وآدابها

إلى كل هؤلاء: شكرا جزيلا

محمد

مقدمة

مقدمة

تعدُّ اللغة وعاء الفكر، وأداة الاتصال، ووسيلة التفاهم والتخاطب والتعبير عن ما تكنه النفس البشرية من معاني ودلالات، لذلك حظيت باهتمام كبير جعلها تأخذ الحيز الأكبر في الفكر الإنساني، قديما وحديثا، وذلك لما تؤديه من وظائف تستحق البحث فيها ودراستها، فالوظيفة الأساسية للغة هي الاتصال والتواصل، وذلك لأنها ظاهرة اجتماعية تستمد روحها من المجتمع.

ولمَّا كانت اللغة – باعتبارها وسيلة تواصلية بين البشر – تستدعي توفر أدوات وآليات تستخدم من قبل الأطراف المشاركة في عملية التواصل، أدى إلى بروز الكثير من الفروع والميادين المهتمة بدراسة اللغة، ومن بينها التداولية؛ والتي تقوم بتحليل ((عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام))[1] وذلك لرصد خصائص اللغة، وتفسير ظواهرها الخطابية والتواصلية، حتى أصبحت نظرية الحجاج – وهي أحد فروع التداولية – الأداة المثلى لمناقشة هذه العمليات الكلامية مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها، وغدت آلية مهمة في عملية التواصل، والغرض منها فرض سلطة على الآخرين من نوع استمالتهم وإقناعهم بمصداقية الدعوة المعبر عنها.

وهكذا لما كانت الخطابةُ مجالَ الحجاج الأهم – كما ظهر لي ذلك – اخترت بعض خطب "الحجاج بن يوسف الثقفي" فجعلتها موضوع دراستي في هذه المذكرة، وذلك باعتباره من أكثر النصوص العربية الأدبية تحقيقا لمنطق الإقناع والتأثير بالحجج، وعليه فقد اخترت عنوان مذكرتي: **آليات الحِجَاج في خطب الحَجَّاج (دراسة تداولية)**.

ولما كان مجال الدرس الحجاجي مُتسعا جدا، وكانت خطب "الحجاج" مرتكزة على الآليات اللغوية بشكل كبير، دعاني ذلك إلى حصر عملي في هذه الجزئية فحسبُ، وما ذاك إلَّا لأستحوذ على إحاطة كاملة بالآليات اللغوية الموجودة في خطب "الحجاج بن يوسف الثقفي".

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم الفكر، الكويت، دط، 1992 م، ص 20.

ومن بين الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع:

- المكانة العظيمة التي تُمثلها خطب "الحجاج بن يوسف"، وكونها من أكثر النصوص الأدبية تحقيقا لمنطق الإقناع.
- رغبتي الشديدة في الوقوف على أهم الآليات اللغوية المستعملة قي خطب "الحجاج" قصد التأثير والإفحام، وهذا كأحد أهم مبررات اختيارنا لهذا الموضوع.
- ندرة الدراسات العلمية للنصوص الأدبية القديمة عامة، وللنص الخطابي عند "الحجاج"خاصة، وبالخصوص في المجال التداولي.

ولقد انطلق هذا البحث من إشكالية أساسية هي: إلى أي مدى حضرت الآليات اللغوية في خطب "الحجاج بن يوسف الثقفي" ؟

وتقودنا هذه الإشكالية إلى طرح عدد من الأسئلة أهمها: ما هي دلالة الحجاج كأحد فروع التداولية ؟، وما هي أهم آلياته اللغوية ؟، وما هي أكثر الآليات اللغوية توظيفا في خطب "الحجاج" وفي ما تكمن قيمتها التبليغية ؟ وإلى أي مدى وفِّق "الحجاج" في توظيفه لهذه الآليات ؟.

وكان الهدف المرجو من هذه الدراسة هو النهوض بالنص الأدبي العربي إحياءً ودراسة، والكشف عن ما تحمله النصوص الخطابية العربية القديمة من آليات وظِّفت تداوليا لتحقيق منطق البيان والإقناع، وذلك من خلال دراستنا لخطب "الحجاج".

أما عن أهمية الموضوع فخطب "الحجاج" غنية عن التعريف، وذلك لما تنفرد به هذه النصوص من جمالية أسلوب وسمات خطابية مميزة، مع ما يحمله "الحجاج" من صفات عقلية وخطابية فاق بها معاصريه في تلك الفترة.

أما المنهج المتَّبع في هذه الدراسة فكان بحسب الموضوع أو الجزئية المعالجة، لذلك فقد تكاملت المناهج بما يخدم الموضوع، فاعتمدنا على المنهج التاريخي، وذلك لتتبع الدرس الحجاجي عند الغرب والعرب قديما وحديثا، وذكر بعض الأحداث التي عاشها "الحجاج" وسايرها، والمنهج الوصفي التحليلي الذي درسنا من خلاله كافة الآليات الحجاجية المستخدمة في خطب "الحجاج" لتحقيق الإقناع، وكنا دائما نستحضر البعد التداولي لما له أهمية في خدمة هذا الموضوع.

وللإلمام بجوانب هذا العمل الذي نحن بصدده، قسمت عملي إلى فصلين رئيسيين، يسبقهما مدخل تمهيدي، إضافة إلى مقدمة للموضوع وخاتمة حوت أهم ما توصلنا إليه من نتائج وأفكار.

ثمَّ إنَّني قد ناقشتُ بعض القضايا المندرجة تحت باب التداولية والحجاج؛ وذلك في مدخلِ "**مفاهيمَ أوليةٍ في التداولية والحجاج**"؛ فعرَّفت فيه التداوليةَ وتطرقتُ لأهمِّ قضاياها، ثم بحثت في العلاقة التي تربط الحجاج ببعض المصطلحات كالجدل والخطابة...

أما عن **الفصل الأول**: فقد خصَّصته للجانب النظري، بعنوان "**الحجاج وآلياته اللغوية**"، حيث عرضت خلاله ثلاثة مباحث، الأول: تتبعت فيه الدرس الحجاجيَّ عند العربِ والغربِ، القدامى والمحدَثين، وأما المبحث الثاني: فقد خصَّصته في استراتيجيات الخطاب الحجاجية، حيث عرضت فيه استراتيجيات الخطاب التضامنية والتوجيهية والتلميحية، والمبحث الثالث فقد تضمَّن أهمَّ وسائلِ الإقناع اللغوية.

و**الفصل الثاني**: فقد خصَّصته للجانب التطبيقي: بعنوان "**آليات الحجاج اللغوية في خطب "الحجاج""**؛ حيث قسمته إلى خمسة مباحث، أولُها: كان في التعريف بصاحب النصوص الخطابية المدروسة، وأما المبحث الثاني: فقد ناقشت فيه آلياتِ الخطابِ في استراتيجية التوجيه، والمبحث الثالث: فقد جمع آليات التضامن والتلميح في خطب "الحجاج"، والمبحث الرابع: فقد خصَّصته لمناقشة جميع وسائل الإقناع وتقنياته اللغوية في مدونة الدراسة، والمبحث الأخير: فقد تناولت فيه الروابط والسلالم الحجاجية في خطب "الحجاج".

أما **الخاتمة** فقد أوردت فيها ملخصا لكل ما وصلت إليه من نتائج وملاحظات واستنتاجات لما أفضت به الدراسة التي يدور فيها موضوع بحثنا.

ولقد استندنا في إثراء عملنا هذا بمراجع أهمها: كتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، والتداولية عند علماء العرب لمسعود صحراوي، واللغة والحجاج لأبي بكر العزاوي، وذلك لمعالجة ما تضمَّنه بحثنا من مواضيع في التداولية والحجاج وآلياته اللغوية، بالإضافة إلى بعض المراجع المعتمدة للإحاطة بكل ما يخص"الحجاج" وخطبه ومن بينها: البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، والعقد الفريد لأبي عمر بن عبد ربه الأندلسي.

وككل بحث واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها: صعوبة تحليل المادة اللغوية الموجود في خطب "الحجاج" كون صاحب الخطاب يمتلك مادة لغوية خصبة تتخللها ألفاظ جزلة مستقاة من أعماق التراث الأدبي العربي القديم، وضيق الوقت مقارنة بما يحتاجه هذا الموضوع من وقت كافي للدراسة والتحصيل، إضافة إلى عدم الإطلاع على مصادر المعرفة غير العربية لحاجة الموضوع إليها مثل كتب الفلسفة والمنطق وعلم الكلام....، وندرة مراجع التداولية الأجنبية المترجمة في مكتبة الجامعة باعتبارها من الدراسات الحديثة التي قد يصعب على المكتبة توفيرها.

وفي الأخير أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساعد ولو بقليل في هذا البحث وأخصُّ بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور *العزوزي حرزولي* بتوجيهاته الدقيقة المفيدة، وأحمد اللّه على إتمام هذا العمل، فإن وفقت فبتقدير من اللّه ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾[1] ، وإن أخطأت فمغفور خطئي، ولي أجر الاجتهاد.

[1] سورة العلق، الآية: 4.

مدخل

مفاهيم أولية في التداولية والحجاج

- تمهيد

أولا: مفهوم التداولية

ثانيا: مفهوم الحجاج

توطئة:

تمثل التداولية أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت في ميادين الدراسة اللغوية الحديثة والمعاصرة، فالتداولية تعتبر أكثر العلوم اللسانية حيوية، إذ لا تتوقف الدراسة في ميادينها عند حدود البنى اللغوية وأشكالها الظاهرة، بل تتجاوز ذلك إلى دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، فهي إذا علم جديد للتواصل الإنساني يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها، ومن هنا سميت التداولية: ((بعلم الاستعمال اللغوي)).[1]

أولا: مفهوم التداولية:

1 – تعريف التداولية لغة:

تشتق كلمة التداولية كمصطلح عربي من لفظة (دَوَلَ) ولقد وردت هذه اللفظة في معاجمنا العربية بعدة معان نذكر منها :

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ) أنَّ : ((الدَّالُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى تَحَوُّلِ شَيْءٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى ضَعْفٍ وَاسْتِرْخَاءٍ.

أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: انْدَالَ الْقَوْمُ، إِذَا تَحَوَّلُوا مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ تَدَاوَلَ الْقَوْمُ الشَّيْءَ بَيْنَهُمْ: إِذَا صَارَ مِنْ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ، وَالدَّوْلَةُ وَالدُّولَةُ لُغَتَانِ. وَيُقَالُ بَلِ الدُّولَةُ فِي الْمَالِ وَالدَّوْلَةُ فِي الْحَرْبِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ مِنْ قِيَاسِ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ يَتَدَاوَلُونَهُ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ هَذَا إِلَى ذَاكَ، وَمِنْ ذَاكَ إِلَى هَذَا.

وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالدَّوِيلُ مِنَ النَّبْتِ: مَا يَبِسَ لِعَامِهِ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: دَالَ الثَّوْبُ يَدُولُ، إِذَا بَلِيَ...)).[2]

---

[1] صحراوي، مسعود، التداولية اليوم عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الفعل الكلامي في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 م، ص 17.

[2] ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، القاهرة، دط 1399هـ – 1979م ، ج 2، مادة (دول)، ص 314 – 315.

وفي كتاب أساس البلاغة للزمخشري (ت 538هـ) نجد: ((دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوّهم: جعل الكثرّة لهم عليه... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما)).[1]

نستنتج أن مادة دَوَلَ في المعاجم العربية قد وردت بدلالات لا تخرج عن معاني التبدُّل والتحوُّل والانتقال من حال إلى آخر، مما يستوجب وجود أكثر من طرفين في عملية التحول هذه، وكذالك هو حال اللغة، يقال: ((تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس، وأداروه فيما بينهم ... فالنقل والدوران يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين، أو قل معنى التواصل، ويدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين أو قل على معنى التفاعل، فيكون التداول جامعاً بين اثنين هما: التواصل، والتفاعل. فمقتضى التداول إذا أن يكون القول موصولا بالفعل...))،[2] وعليه فإنَّ التداولية في اللغة ما هي إلا فعل ونشاط إنساني يفيد التواصل والتفاعل اللغوي بين الناس.

2 – تعريف التداولية اصطلاحا :

يرى بعض الباحثين أن الفضل في استحداث مصطلح التداولية "Pragmatics" في الثقافة الغربية يعود إلى الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس – ch. S. peirse" حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزيقا" سنة 1978 و 1979 ، ويرجع أول استعمال لمصطلح التداولية إلى الفيلسوف "تشارلز موريس – weliam mouris charles " سنة 1938،[3] حيث استخدمه دالا على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو simiologie وهذه الفروع هي :

[1] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، ج1، مادة (دول)، ص 303.

[2] عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، دس، ص244.

[3] يُنظر: لهويمل، باديس، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المِخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2015، ص 158.

- علم التراكيب syntactics والذي يهتم بدراسة العلاقات بين أبنية الجملة الواحدة أو فلنقل العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.
- علم الدلالة semantics والذي يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات والواقع الفعلي لها أي الأشياء التي تدل عليها أو تحيل لها.
- التداولية .[1]

ففي الاصطلاح يصعب وضع تعريف شامل ودقيق للتداولية لسعة مجالها في ميادين الدراسة الفكرية الحديثة وذلك لأسباب أهمها: أن مفهومها تتقاذفه مصادر معرفية عديدة لا يكاد يَستقرُّ في واحد منها، هذا إضافة إلى أنها تتداخل مع علوم أخرى ، مما جعل مجالها ثريا وواسعا وعسيرا.[2]

وسنحاول في هذا المقام القيام بعمل إحصائي لتعريفات التداولية بغية الوصول إلى عمل ولو بسيط يبين مدى اختلاف وكثرة الآراء في تعريف وتناول هذا المصلح، وهو ما سنحققه من خلال الحقول التالية:

2 – 1 – تعريفات مرتبطة بحقل نشأة التفكير التداولي :

الأول: تعريف تشارلز موريس: حيث يقول: ((وهي علم يعالج علاقة العلامات بمؤولاتها))[3]، فالتداولية إذا جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعمليها وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات، فلقد ركَّز موريس في تعريفه للتداولية على البعد الدلالي وعدَّه في المرتبة الأولى لأنه مرتبط بطبيعة العلامة ذاتها، ثم ألحق البعد التداولي متمما به ما يترتب عن الدلالة، لأن العلامة لا تُميّز إلا عن طريق المتكلّم الذي يُحدثها، وأخَّر البعد التركيبي لتأخره في تكوين العلامة فإنّه ينبغي للعلامة أن تكون لها دلالة ومدلوِل قبل أن تركَّب.[4]

---

[1] يُنظر: أحمد نحلة، محمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، دط، 2002م.، ص 9.

[2] يُنظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر، ط 1 ، 2019م. ص 63.

[3] أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط – المغرب، دط، 1986م، ص 28.

[4] يُنظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص67.

الثاني: تعريف أوستن وتلميذه سورول: حيث يجعلان حقل فلسفة اللغة العادية نواة لتأسيس التداولية، ويحدد مصدرها في التفكير الأنجلوسكاكسوني انطلاقا من إشكالية أفعال الكلام التي طوَّرت التفكير في آليات معالجة اللغة: الحجاج، أنواع الخطاب ...[1]

2 – 2 – تعريفات مرتبطة بحقل موضوع التداولية ووظيفتها:

وذلك باعتبار أنَّ التداولية: ((تهتم بجميع شروط الخطاب وتعتمد أسلوبا ما في فهمه وإدراكه، بدراسة كيفية استخدام اللغة، وبيان الأشكال اللسانية التي لا يتحدَّد معناها إلَّا بالاستعمال))[2]، وأنَّ ((مهمَّتها تأكيد فعل السياق في العملية التواصلية وأهميته في الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب والتي كان لها الأثر الكبير في تحديد معاني النصوص))[3]، أي أنه ينبغي الوصول إلى فهم أعماق الخطاب من خلال الكشف عن العوالم الخارجية للحدث اللغوي وما يحيط به ويؤثر فيه خارج النص.

وهي أيضا: علم جديد في التواصل موضوعه مجموعة من المفاهيم والآليات الإجرائية، تعد من صميم البحث التداولي وهي: أفعال الكلام ومتضمنات القول، والاستلزام الحواري والإشاريات، بالإضافة إلى نظرية الملائمة، القصْدية، السياق والحجاج.[4]

2 – 3 – من حيث التواصل والأداء :

هذا لأن مجال التداولية الجانب الإستعمالي للغة، يبحث في العلاقة القائمة بين المتكلم والسامع، فهي كما عرفها الدكتور صحراوي أنها: ((علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الإستعمال، ويدمج، من ثَمَّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره)).[5]

---

[1] بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص 68 – 69.

[3] البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط 1، 2012م، ص 15.

[4] يُنظر: لهويمل، باديس، التداولية والبلاغة العربية، ص 162.

[5] صحراوي، مسعود، التداولية اليوم عند علماء العرب، ص 16.

والتداولية تدرس اللغة كونها كلاما محدَّدا صادرا من متكلم محدَّد، وموجّها إلى مخاطب ما، بلفظ محدَّد في مقام تواصلي محدَّد، لتحقيق عرض تواصلي هو التبليغ أو الإقناع، بمعنى أن الدرس التداولي يسعى لدراسة الفعل اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه، ومعرفة مدى تأثير السياقات الاجتماعية على نظام الخطاب.

3 – من قضايا التداولية:

3 – 1 – أفعال الكلام: speech act:

يُعتبر الفعل الكلامي من أهم القضايا التي قامت عليها الدراسة التداولية، حيث يُمثل الجانب الأساسي في الكثير من الأعمال التداولية، فالفعل الكلامي يُعتبر ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يُعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية... وغايات تأثيرية تخُص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول))[1]. وأكَّدت هذه النظرية (الأفعال الكلامية) أنّ اللغة ليست للإخبار ونقل الأفكار والانفعالات فقط ، بل سارت باللغة إلى وظيفة التأثير في الآخرين عن طريق أفعال قولية لتحقيق غرض إنجازي كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ.

ولكي نعطي هذه النظرية (الأفعال الكلامية) حقها في الدراسة، يجب علينا إعطاء ولو موجز عن مساهمات "أوستن" البارزة في هذا المجال، وذلك باعتباره من المؤسسين الأوائل لهذه النظرية، فلقد استطاع " أوستن " – في بحثه في هذا الميدان – أن يقسم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية هي:

3 – 1 – 1 – فعل القول (أو الفعل اللغوي) acte locutoire :

ويراد به ((إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد مالها من معنى ومُشار إليها))[2] ويتكون فعل القول من أفعال لغوية تُمثل مستويات اللغة : الصوتي، التركيبي

---

[1] المرجع السابق، ص 40 .

[2] الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1996م، ص8.

والدلالي، ((ويقابل – عند أوستن – التلفظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتلفظ بالتركيب (فعل تركيبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي))).[1]

3 – 1 – 2 – الفعل المتضمن في القول acte illocutoire:

يسمى هذا الصنف من الأفعال الكلامية بـ ((الفعل الإنجازي الحقيقي، إذا أنه عملٌ يُنجز بقول ما))[2]، ((ويحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه : يُخبر، يُعجب، يُنذر ...))[3]، أي أن هذه الأفعال تُستعمل في إطار عملية التواصل.

3 – 1 – 3 – الفعل الناتج عن القول acte perlocutoire :

وهو فعل تأثيري استلزامي، يسمِّيه " أوستن " ((الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول))[4]، وهو فعل ((يتعلق بالنتائج التي يُحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة للمخاطب))[5]، إذ يلجأ إليها المرسل لاستمرار التواصل وجلب انتباه السامع عادة وذلك للإقناع أو التظليل أو الإرشاد.

3 – 2 – الملفوظية Enouciation:

الملفوظية ترجمة للمصطلح الفرنسي Enouciation الذي أشار إليه الألسني السويسري " شارل بالي " في كتابه "اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية " وتعني فعل الاستخدام الفردي للسان أو فلنقل العملية الفعلية لصناعة الملفوظ الذي يعتبر نتيجة هذا الفعل.[6]

ولقد تعددت الآراء في تعريف الملفوظية ومن بينها تعريف" بينفينيست " ، حيث يقول: ((إن الملفوظية هي عملية تشغيل اللسان عن طريق فعل استخدام فردي))[7] ، أي أنها استخدام فردي للغة

---

[1] بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 96.

[2] صحراوي، مسعود، التداولية اليوم عند علماء العرب، ص 42 .

[3] بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص 96.

[4] الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 9.

[5] أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2011م، ص 92.

[6] يُنظر: سيرفوني، جان، الملفوظية (دراســة)، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م.ص7.

[7] المرجع نفسه، ص 7.

يسبق التوظيف الفعلي لها، وعلى هذا النحو يعرفها " ديكرو" و " أنكومبر" إذا يريانها ((ذلك النشاط اللغوي الذي يمارسه المتكلم في لحظة كلامه، كما يمارسه المستمع في لحظة استماعه)).[1]

ولها ثلاثة خصائص أساسية هي :

- تؤدي الخبرة الإنسانية في استخدام اللغة وإنتاجها من خلال بروز المتكلم (أي فردية المستعمل)، وهي بذلك تسمح بمرور اللغة من الحالة الافتراضية إلى ما يتطلبه الموضوع.
- خاصة تكون وِفق ما يريده الفرد.
- نتيجتها أنَّ الخطاب يَسمح بوصف العالم وتقرير الحاجات المرجعية.[2]

3 – 3 – السياق :

يمثل السياق أحد العناصر المهمة المعتمدة في البحث التداولي، وذلك لأهميته في دراسة القول وتحليله، ودوره في توجيه المعنى وإضاءة مجاهيل النصوص ورفع غموضها، فدراسة السياق إذا تُعد محل اهتمام جميع القضايا التداولية وذلك لخضوع كل تحليل تداولي للملفوضات لمدى ارتباط هذه الملفوظات بالسياق .

وعُرِّف السياق بأنه: ((الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها وفهمها، وأنّه لا يتضمّن عند الاتّصال اللّغوي الكلمات فقط، بل الصّلات والظّروف المحيطة والحقائق السّابقة...))[3]، لذلك أعتبر "جون لاينز" بأن السياق ضروري في تحديد محتوى الكلمات أو الوحدات اللغوية، حيث يقول: ((إن الوحدات التي يتكون منها النص، جملا كانت أم غير جمل ليست مجرد وحدات متصلة مع بعضها البعض في سلسلة، إنما ينبغي ربطها بطريقة مناسبة من حيث السياق)).[4]

---

[1] المرجع السابق، ص 7.

[2] يُنظر: بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص105.

[3] جاد الربّ، محمود، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر، ط1، 1985م، ص 148.

[4] لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهَّاب، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد، ط1، 1987م، ص 219 .

ثانيا : مفهوم الحِجَاج:

1 – تعريف الحِجَاجْ :

1 – 1 – التعريف اللغوي : لقد وردت مادة (حجج) في المعاجم العربية بعدة معاني منها ما جاء في كتابه "مقاييس اللغة" لابن فارس (ت: 395هـ): ((يقال حَاجَجْتُ فُلَانًا فَحَجَجْتُه أي غَلَبْتُه بالحُجَّة وذَلك الظَّفر يكون عند الخُصُوم والجَمْع حَجَج والمصدر حِجَاج)).[1] وفي لسان العرب "لابن منظور" (ت: 711 هـ) حيث يقال: ((حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حَتَّى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ الَّتِي أَدْلَيْتُ بها؛... والحُجَّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّة مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ ...وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ... والحُجَّةُ: الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ. يُقَالُ: حاجَجْتُه فأَنا مُحاجٌّ وحَجِيجٌ... أَي أَغْلِبُه بالحُجَّة)).[2] أما في تاج العروس لـ"الزبيدي" (ت: 1205هـ): فـ((الحَجُّ (الغَلَبَةُ بالحُجَّةِ) يقال: حَجَّهُ يَحُجَّهُ حَجًّا إذا غَلَبَه على حُجَّتِهِ... والحَجُّ كَثْرَةُ الاخْتلاف والتَّرَدُّدِ)).[3]

من خلال هذه التعريفات القاموسية للفظة (الحجاج) يظهر جليا لنا أن هذه اللفظة قد استخدمت في إطار الاستعمالات المتداولة في التواصل اللغوي والتخاطب عند العرب، حيث أنها حملت دلالة المخاصمة والجدل والغلبة بالحجة والبرهان، فهذه الدلالات استعملت في سياق تواصلي يحمل في ثناياه التأثير في الغير والغلبة.

1 – 2 – التعريف الاصطلاحي : يشكّل الحجاج استراتيجية لغوية تنبني أساسا على مجموعة أفكار ومضامين معينة في شكل قوالب لغوية مختارة ، موجهة للغير بقصد التأثير والإقناع ، ولذلك فقد عرَّفه طه عبد الرحمن بأنه: ((كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها)).[4]

---

[1] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ج2،ص30.

[2] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ – 1993م، ج 2، ص 228.

[3] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط 1969م، ج 5، ص460.

[4] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998م، ص 226.

وقد عرَّفه "أبو بكر العزاوي" في كتابه " اللغة والحجاج" بقوله: ((هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة))[1]، وهو ((عبارة عن مختلف الوسائل الاستدلالية الطبيعية التي تستهدف أساسا إقناع المخاطب بقول ما بالبناء على ما يُعلَم أو يُفترَض أن المخاطب يُسلّم به من أقوال غيره)).[2] ومن وجهة نظر تداولية يعرّفه "طه عبد الرحمن" أيضا أنه : ((جملة من الآليات الاستدلالية التي تعتمد الإمكانات الاستدلالية الخاصة باللسان الذي يتداوله المُستدل)).[3]

فالحجاج من خلال ما سبق هو عبارة عن مسلمات خطابية قابلة للرفض أو القبول ، مدعمة بحجج وبراهين بهدف الإفحام، وهو عملية تواصلية تأثيرية جوهرها قضية ما، تُمثل منطلق العملية الحجاجية طرفاها مُخاطِب مُؤَّثر بحججه ومُخاطَب متأثر بما يحمله عنصر الخطاب.

والحجاج من وجهة أنه قضية هامة من قضايا الدرس التداولي الحديث والمعاصر، هو العلم الذي ((يدرس أشكال ووسائل التأثير في المتلقي التي في إطار النص اللغوي أو في الإطار السيميائي العام بهدف الإقناع بفكرة ما، أو الدفاع عن فكرة ما، أو الهجوم على فكرة ما، للوصول إلى الإقناع أو الإفحام)).[4]

2 – الحجاج بين الجدل و الخطابة:

2 – 1 – تعريف الجدل: الجدل في اللغة الخصام والمناظرة بالحجج، ورد في لسان العرب ((الجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ... وَيُقَالُ: إِنه لَجَدِل إِذا كَانَ شَدِيدَ الخِصام)).[5]

أمّا في الاصطلاح فيعرفه "الباجي" بأنه: ((تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه))[6].

---

[1] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، سور الأزبكية، ط1، 2006م، ص16.

[2] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 393 .

[3] المرجع نفسه، ص 393.

[4] الغامدي، جمعان بن عبد الكريم، الحجاج في الخُطبة النبويَّة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد 10، ماي 2013 م، ص 286 .

[5] ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 106.

[6] الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001م، ص11.

وعُرِّق الجدل أيضا بأنَّه: ((عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره والنظر قد يتم به وحده)).[1]

ما نلاحظه أنَّ الجدل في حقيقته تدافع بالكلام بين الخصوم وهذا ما يجعله في رُوض المناظرات، فالجدل إذا في تعريفه الاصطلاحي يقارب كثيرا التعريف اللغوي إذ هو تنازع بين اثنين أو أكثر بهدف تصحيح قول أو إبطاله.

2 – 2 – تعريف الخطابة: جاء في معجم مقاييس اللغة في باب الخاء والطاء وما يُثلثهما ((الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلامُ بين اثنين، يقال خاطبهُ يُخاطِبه خِطَابًا، والخُطْبة من ذلك... والخُطبة الكلام المخطوب به))[2]، وفي لسان العرب يقال: ((خَطَبَ فلانٌ إِلَى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه. والخِطابُ والمُخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ. ...والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخاطِبُ عَلَى المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطْبَة))[3]، ومن خلال ما سبق يظهر لنا الخطابة في اللغة هي ما يُوجهه المخاطب من كلام لجمهور ما.

والخطابة في اصطلاح الحكماء : ((مجموع قوانين يُقتَدرُ بها على الإقناع الممكن في أي موضوع يراد))[4]، ولعلَّى أوضح وأدق ما عُرّفت به الخطابة أنها: ((فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع والاستمالة))[5]، فهذا التعريف يقوم على عناصر معينة:

- أن يكون الحديث مخاطبةً لجمهور من الناس.
- أن يكون بطريقة إلقائية
- أن يكون الحديث مقنع يشتمل على أدلة وبراهين.
- أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة : أي استجابتهم السامعين لما تدعو إليه الخطبة .

---

[1] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحنفي الحسيني، كتاب الكليات ، تح: عدنان دوريش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، دط، 1998م، ص 545 .

[2]. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 198.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص 361.

[4] محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر، شبرا – مصر، دط، 1984م، ص13.

[5] عبده شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1987م، ص 13.

2 – 3 – علاقة الجدل والخطابة بالحجاج :

حسب ما أوردنا من تعريفات للجدل والخطابة يتبين لنا أنَّهما يمثلان القوة الكلامية لإنتاج الحجاج، فهذا الأخير حسب اعتقاد "صوله عبد الله " يمثل: ((القاسم المشترك بين الجدل والخطابة... حيث أنّ الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج))[1]، ويتمم الدكتور "عبد الله صولة" شرحه في هذه القضية من خلال هذه العلائق إلى أنَّ هناك حجاجان جدلي وخطابي.

والحجاج الجدلي وهو ((مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضة لغاية التأثير العقلي المجرّد، وتمثله في التراث العربي الإسلامي مناظرات " علم الكلام "))[2]، وعلى هذا النحو يعرِّفه "التهانوي" في كشَّافه أنَّه : ((علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه)).[3]

أمّا الحجاج الخطابي فهو: ((حجاج موجَّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة، والحجاج هاهنا ليس لغاية التأثير النظري العقلي، وإنما يتعدَّاه إلى التأثير العاطفي وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالته...)).[4]

3 – علاقة الحجاج بالإقناع:

ورد ذكر لفظة (الإقناع) في المعاجم العربية تحت قوالب لغوية تحمل عدة دلالات أهمها: ما جاء في معجم العين لـ "الخليل" (ت: 170 هـ) ((فلان مُقْنِعٌ: أي يُرضى بِقَوله))[5]، وما جاء في معجم "مقاييس اللغة" أنَّ: ((القاف والنون والعين أصلان صحيحان ، أحدهما يدلُّ على الإقبال على الشيء... والآخر يدل على استدارة في الشيء. فالأول الإقناع: الإقبال بالوجه على الشيء... فالقانع: السَّائِل؛ وسُمِّي قانِعًا لإقْبالِهِ على مَن يسأله))[6] ، وما ذُكر في "لسان العرب" من مادة قنع:

---

[1] صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007م، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص 18.

[3] التهانوي، محمد بن علي، تح رفيق العجم – علي دحروج، موسوعة كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996م، ج1، ص 29.

[4] صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 18.

[5] الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م، ج 3، ص 435.

[6] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 5، مادة (قنع)، ص 32-33.

((قَنِعَ بِنَفْسِهِ قَنَعاً وقَناعةً: رَضِيَ؛ يُقَالُ: فُلَانٌ شاهدٌ مَقْنَعٌ أَي رِضاً يُقْنَعُ بِهِ. وَرَجُلٌ قُنْعانِيٌّ وقُنْعانٌ ومَقْنَعٌ، وَكِلَاهُمَا لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُؤَنَّثُ: يُقْنَعُ بِهِ ويُرْضَى برأْيه وَقَضَائِهِ)).[1]

ومن هنا يتضح لنا أن الإقناع في اللغة يكمن في الإقبال على الشيء والرِّضا به والقبول بالرأي والاطمئنان إليه.

وإذا كانت الخطابة فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية قصد الإفهام والتوجيه... فإنه يستلزم على الخطابيُّ أن يبني كلامه على الحجج والبراهين وذلك لأن الهدف الذي يريده من خطابه هو إقناع السامع أي: ((إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه)) [2]، فالإقناع من هذا الباب هو ((حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك)) [3]، ولما كان الإقناع يعني وجود طرفين أو أكثر، وأنه فن ذو صلة متلازمة مع المجتمع بشرائحه المتفاوتة في البيئة والثقافة واللغة...فلا بدّ من توفر أمور ثلاثة يمكن من خلالها أن تتم عملية الإقناع بأكمل وجه:

1- فاعل يقوم بعملية الإقناع: ويستلزم هنا أن يكون القدرة على استمالة الجمهور إليه وإحداث تغير في نفوسهم .

2 - مادة إقناعية : والمتمثلة في الحجة التي يتم من خلالها التوصل إلى إقناع المتلقي...[4]

3 - متلقي (الجمهور) : ويجب أن يكون المخاطَب في هذه الحالة مهيأً لقبول الحجة والاقتناع بها؛ ((لأن العملية الاقناعية مبنية على الإقناع والاقتناع ولا يمكن أن تقوم على جانب واحد منهما)) .[5]

المخَاطِبْ (إقناع) ←——— الحجة (مادة إقناع) ←——— المتلقي (اقتناع)

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره في تعريف الإقناع وما تشترطه عملية الإقناع، وما ذكرنا في تعريف الحجاج سابقا، أنّ هناك ارتباط كبير وتشابك بين الحجاج والإقناع، فالحجاج وسيلة لبلوغ غاية تتمثل

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 297.

[2] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004،ص 444.

[3] عبده شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، ص13.

[4] يُظر: السبعاوي، طه عبد الله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط دس، ص 19.

[5] حمدان، سليم، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م – 2009م، ص90.

في الإقناع، وعلى هذا فلا يكون ذالك بدون هذا. وعليه فالإقناع ((محصلة قول حجاجي تُرفع بسلطته المسافة بين الإنسان والإنسان ويُوجه لتحقيق أغراض مختلفة)).[1] فالإقناع باعتباره أسلوبا للتأثير في السامع ، يحمل في طياته معنى الحجاج إذ يمثل الهدف الأساسي للقول الحجاجي.

[1] عطا الله، محمد، الإقناع في الخطاب الحجاجي (مقاربة لوسائل الإقناع في عيون البصائر)، دار الذهب الأسود، حاسي مسعود – ورقلة، ط1، 2013م، ص 17.

الفصل النظري

الحجاج وآلياته اللغوية

- تمهيد

أولا: الحجاج في الجذور العربية والغربية

ثانيا: الآليات اللغوية في الاستراتيجية الحجاجية

ثالثا: تقنيات الحجاج اللغوية

توطئة:

شهد العصر الحديث والمعاصر تطورا بارزا في جميع ميادين اللغة، حيث كان لنظرية الحجاج نصيبها الوافر في الدراسة والتقنين، وهذا راجع إلى العودة القوية للبلاغة وما أضحت تُمثله في الدراسات الحديثة، ((مما هيأ الظروف المناسبة لعودة الاهتمام بالخطابة والأساليب الحجاجية))[1]، إلى أن أصبح الحِجَاج جانبا مهما في المسار اللساني التداولي، مجاله الأول الخطابة وغرضه الرئيسي إبراز المقصود الحجاجي والرافد الإقناعي في الخطاب البشري.

وتلعب الأدوات اللغوية الدور الحجاجي المهم في ضبط الخطاب وتمكين قدرة المتكلّم على التأثير في السامع أو المتلقّي وجعله يذعن ويسلِّم بما يودَع في خطابه من مقاصد وأفكار، وذلك بفضل ما تحمله هذه الآليات أو الأدوات من خصائص جمالية ومزايا تأثيريّة تجعل من الخطاب يشكل بنية إقناعية كاملة، وذلك هو جوهر الحجاج.

ولقد أردنا في هذا الفصل النظري تتبع الدرس الحجاجي من أول جذوره ونقطة انطلاقة إلى أخر مراحله الكمالية التي شهدتها الدراسة اللغوية على أيد بعض علماء البلاغة والتداولية، إضافة إلى التطرّق لجُل الآليات اللغوية التي هي أساس عملنا في هذا البحث، بالدراسة والتحصيل، مع التدليل لها ببعض الأمثلة، منها ما استقيناه من التراث العربي، وما هذه إلا محاولة منا حتى نزيد موضوعنا ثراءً وجمالا.

[1] الراضي ، رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد 1، المجلد 34، 2015، ص 211.

أولا : الحجاج في الجذور العربية والغربية:

1 – الحجاج في الدراسات القديمة:

1 – 1 – الحجاج عند العرب قديما:

لقد أولى العرب الحجاج – باختلاف مصطلحاته – عناية كبيرة منذ العصور القديمة، بتبلوره في شتى ميادين العلم، خاصة ما أفاض به علما الأصول والتفسير، وما سجَّلت الدراسات القديمة من جهود عند علماء اللغة والدلالة والتأويل، هذا فضلا عن ورود المصطلح في النصوص الدينية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة)، والدور الذي حضي به في الحياة الاجتماعية والمسامرات والنقاشات البلاغية... وغيرها.

1 – 1 – 1 – الحجاج في القرآن الكريم والسنة :

ورد الحجاج في القرآن الكريم بمعاني مختلفة – حجاج وجدل وبرهان– ، ونلمس ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه ﴾.[1]

وفسر هذه الآية "ابن عاشور" بقوله : ((وَمَعْنَى حَاجَّ خَاصَمَ... وَمِنَ الْعَجِيبِ أَنَّ الْحُجَّةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْبُرْهَانُ الْمُصَدِّقُ لِلدَّعْوَى مَعَ أَنَّ حَاجَّ لَا يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا إِلَّا فِي مَعْنَى الْمُخَاصَمَةِ ... فَمَعْنَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ خَاصَمَهُ خِصَامًا بَاطِلًا فِي شَأْنِ صِفَاتِ اللَّهِ رَبِّ إِبْرَاهِيمَ)).[2]

وفي شأن الجدل في قوله تعالى: ﴿ وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴾[3]، ولقد فسرها "ابن عاشور" بقوله: ((وَالْمُجَادَلَةُ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الْجَدَلِ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْخِصَامِ وَالْحُجَّةِ فِيهِ، وَهِيَ مُنَازَعَةٌ بِالْقَوْلِ لِإِقْنَاعِ الْغَيْرِ بِرَأْيِكَ)).[4]

---

[1]. سورة البقرة، الآية: 258.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، دار التونسية للنشر، تونس ، دط، 1984م، ج 3 ، ص 32 .

[3] سورة النساء، الآية : 107.

[4] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ، ص 194.

من خلال تفسير "ابن عاشور" للآيتين نجد اللفظين (حجاج – جدل) يجمعهما نفس المعنى من خلال الآيتين، وهو المخاصمة لكنها في الحِجَاج قائمة عن الباطل على الأكثر، في حين أنَّ الجدل منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم.[1]

ولقد وردت لفظة (برهان) في القرآن الكريم بمعنى الحجة والدليل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿... قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾.[2] حيث فسرها " ابن عطية " في تفسيره " المحرر الوجيز " بقوله: ((والبرهان الدليل الذي يوقع اليقين، قال الطبري: طلب الدليل هنا يقضي بإثبات النظر ويرد على من ينفيه)).[3]

وفي قوله تعالى: ﴿... قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾.[4] وفسَّرها ابن عطية بقوله: ((والبرهان: الحجة النيرة الواضحة التي تعطي اليقين التام، والمعنى : قد جاءكم مقترنا بمحمد برهان من الله تعالى))[5]، أي : حجة من الله تعالى.

أما في الحديث الشريف فقد كان للحجاج نصيب كبير من خلال خطابات النبي ، فهو صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وأملكهم للحجة و كلامه أكثر حملا للإقناع من كلام غيره، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حقيقة الجدال، والنهاية في تبيين الاستدلال: ((أنه أتاه رجل وولده، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ امرأتي وَلَدَتْ غُلاماً أسْوَدَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ" ؟ قال: نَعَمْ، قَالَ: " فَمَا أَلْوَانُهَا " ؟ قال: حُمْرٌ ، قال: " فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ " ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَال: " مِنْ أَيْنَ أَتَاهَا ذَلِكَ " ؟ قَالَ: لَعَلَّ عِرْقاً نزَعَه، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " وَهَذَا الغَلامُ لَعَلَّ عِرْقاً نَزَعَهُ)).[6]

---

[1] يُنظر: صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 11.

[2] سورة البقرة ، الآية : 111 .

[3] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ- 2001م، ج 1 ، ص 198.

[4] سورة النساء ، الآية : 174.

[5] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2 ، ص 141 .

[6] ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط1، 1986م، ج1، ص 1115.

نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد احتجّ على هذا الرجل بذكر توارث اللون في فصيلة الإبل رابطا إيّاها بالإنسان في سبيل قياس النظير على نظيره حتى وصل إلى إقناع المتلقي.

1 – 1 – 2 – الحجاج في البلاغة العربية القديمة:

1 – 1 – 2 – 1 – الحجاج في التوجه البلاغي الخطابي لدى الجاحظ (ت: 255 هـ):

تعود أصول نظرية الحِجاج عند "الجاحظ" إلى ((علم الكلام القائم على البرهنة العقلية على المسائل المتعلقة بالإلهيات والعقائد حيث يتوجب على المُتكلم أن يُؤسس مواقفه الكلامية على براهين نظرية داعمة ومؤيدة))[1]، فالنزعة الكلامية تظهر جليا من خلال خطابات الجاحظ ومواقفه في كل ميادين فنون القول.

ويتضح لنا الأمر أكثر من خلال مؤلفاته الأدبية التي صاحبت زمنا صاخبا بالجدل والمناظرات وتعدد الاتجاهات الفكرية، إذ يمثل كتابه " البيان والتبيين " مشروعا متكاملا في البلاغة وعلم الكلام، وعناية الجاحظ بالبيان نابعة من عنايته بوظيفية الخطاب ونجاعته، فتناوله في تحقيق المقاصد والغايات وإنجاز الحِجَاج وتحقيق التأثير في النفوس، حيث يقول أنَّ: ((مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهام وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع))[2]، فالبيان عند "الجاحظ" – من خلال النصوص التي أوردها في كشف غموض البيان – لا يخرج في مفهومه عن خاصتي الفهم والإفهام، و ((ليس الفهم والإفهام بالمعنى التعليمي هو ما تعبر به هذه النصوص، بل الواقع أنها تتجه اتجاها إقناعيا ممتدا بين قطبي الاستمالة والاضطراب))[3]، وقد ربط "الجاحظ" الإقناع بمجموعة من الصفات والمؤهلات وضحها " محمد العمري " في الشكل التالي:

---

[1] سرحان، هيثم، الحِجاج عند الجاحظ (بحث في المرجعيات والنصيات والآليات)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ، العدد 115، 2011، ص 58 – 89 .

[2] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج 1 ص 76.

[3] العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط 1999م، ص 199.

المؤهلات والعوائق		صفات البيان وموضوعه		الغرض
المؤهلات	العوائق	الصفات	الموضوع	التأثير
المنطق	العي	الإبلاغ	الدعوة إلى المقالة	استمالة القلوب
الأحلام	الحصر	الإبانة	الدفاع عن نحلة	ثني الإقناع
العقول	ضيق الصدر	الإفصاح	إبلاغ الرسالة	التصديق
الدهاء	توقف اللسان	الفصاحة	الحجة	ميل الأعناق
المكر	اللثغ	الوضوح	الحاجة	فهم العقول
الألسنة		الصحة	المنازعة	إسراع النفوس
النكراء		البيان		الاستمالة
التمييز		حسن التفصيل		الاضطراب
السياسة		الإيضاح		التحريك
لباس التقوى		وضوح الدلالة		حل الحيرة
طابع النبوة		الإفهام		
		الفهم		[1]
		الإحتجاج		
		الأدلة		

ويذهب "الجاحظ" أبعد من ذلك في تحديده مفهوم البلاغة حين ذكر بلسان بعض أهل الهند: ((جِماع البلاغة البَصر بالحُجَّة، والمعرفة بمواضع الفرصة... ومن البصر بالحُجَّة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تَدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعَرَ طريقه. وربما كان الإضرابُ عنها صفحا أبْلَغ في الدَّرَك، وأحقَّ بالظَّفر)).[2]

وعلى هذا يتبين لنا أن تناول "الجاحظ" للبيان والبلاغة من هذا الجانب يكون قد أعطاهما وظيفة الاستمالة والإقناع بالحجّة، فالغاية القصوى إذا في كتابه "البيان والتبيين" هي: ((الخطاب الإقناعي

[1] المرجع السابق، ص 198 – 199 .

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 88.

الشفوي، وهو إقناع تُقدم في الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتُحدِّد الأولى طبيعة الثانية حسب المقامات والأحوال)).[1]

1 – 1 – 2 – 2 – الحجاج في التوجه البلاغي البياني عند ابن وهب (ت: 335 هـ):

لقد عاش "ابن وهب" تجربته اللغوية في أكثر العصور ازدهارا في تاريخ البلاغة والبيان العربي، ويعد كتابه: "البرهان في وجوه البيان" من أهم الكتب التراثية التي كان البيان موضوعا أساسيا ومركزيا فيها، حيث عالج فيه مفاهيم في قضايا النثر تبين لنا طبيعة استخدام الاستراتيجية الحجاجية في الخطاب الأدبي للتأثير في الناس في تلك الفترة، فلقد عدَّ "ابن وهب" الاحتجاج ضمن أحد أصناف النثر حيث يقول: ((فأمَّا المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابة، أو ترسلا، أو احتجاجا، أو حديثا، ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه))[2]، ثم يمضي على التدرج موضحا ما ذكر، ليجعل الاحتجاج خطابا يُبنى على التعليل والإقناع، وذلك حين وضعه موضع الجدل والمجادلة فيقول: ((وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التسول والاعتذارات؛ ويدخل في الشعر وفي النثر)).[3]

ثم قسم الجدل إلى قسمين: جدل محمود[4] وآخر مذموم[5]، وتحدث عن آداب الجدل من خلال وضعه شروطا يجب توفرها في المجادِل حتى يكون في حاله يُناسب ما يحْتَجُّ له، فيجب أن ((يجعل المجادل قصده الحق وبغيته الصواب... وأن يتحرر من مغالطات ومشابهات المموهين...ولا يشغب إذا شاغبه خصمه، ولا يردُّ عليه إذا أربى في كلامه، بل يستعمل الهدوء والوقار، ويقصد مع ذلك لوضع الحجَّة في موضعها...)).[6]

---

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 449.

[2] ابن وهب، إسحاق أبو الحسين، البرهان في وجوه البيان، تح جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، دط، دس، ص 150.

[3] المرجع نفسه، ص 176.

[4] هو الجدل الذي ((يقصد به الحق ، ويستعمل فيه الصدق))، ينظر : ابن وهب، البرهان في وجوه البيان ، ص 177 .

[5] هو الجدل الذي ((أريد به المماراة والغلبة، وطلب به الرياء والسمعة))، ينظر: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص 177 .

[6] ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص 188 و 192.

1 – 1 – 2 – 3 : الحجاج في التوجه البلاغي المنطقي لدى السكاكي (ت: 626 هـ):

يُعد العمل البلاغي الذي قدَّمه "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" الصورة النهائية لعلم البلاغة العربي، فرغم الانتقادات التي وُجهت له في هذا العمل – الذي اعتبر سبب عقم وجمود البلاغة العربية – إلا أنَّ ما حملته الدراسات اللغوية من مباحث في الحجاج والتداوليات أعادت الاعتبار للمجهودات التي قدمها "السكاكي" في كتابه، فيقول "عمر أوكان" مدافعا على ما قدمه "السكاكي": ((وإذا كانت بلاغة السكاكي قد انتُقدت كثيرا باعتبارها قد مالت بالبلاغة العربية إلى التحجر عن طريق جانبها التعليمي الذي اغتال الجانب المنتج في البلاغة العربية، فإننا من جهتنا نعتبر عمل السكاكي عملا رائدا في تاريخ البلاغة العربية، خصوصا من خلال اهتمامه بالجانب التداولي للغة الأدبية، والذي ساعده على إدراكه هو الدمج بين البلاغة والمنطق والصرف والنحو والعروض واللغة...))[1]

ف ((البلاغة هي مفتاح العلوم، ونقطة التقائها، فهي خطاب الخطابات، وعلم العلوم. وهذه العلوم المسماة أدبا، التي تعبر عنها البلاغة (بمعناها العام)، تشمل لدى السكاكي: المنطق والنحو والصرف والعروض والبلاغة (بمعناها الخاص)))[2]، وهو ما يقترح الباحث توضيحه وفق هذا الشكل الآتي:

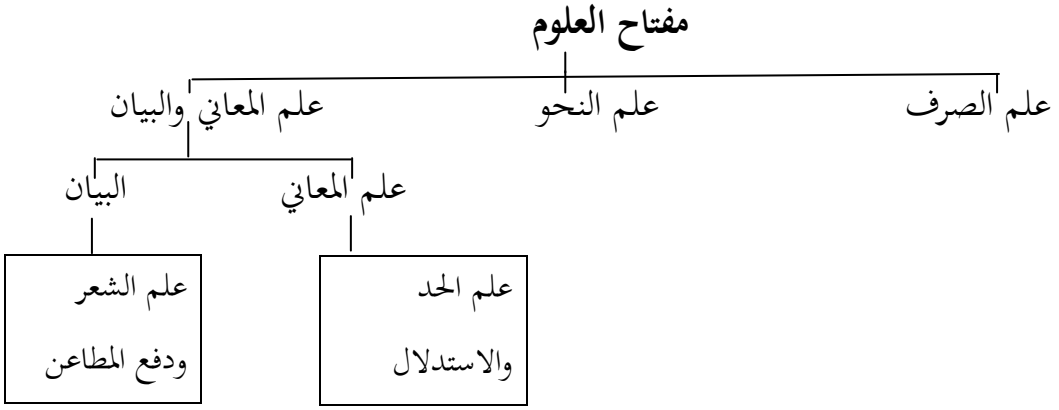

[1] أوكان، عمر، مقدمة في البلاغة العربية القديمة، مجلة فكر ونقد – المغرب، العدد 25، 12 جانفي 2000م، رقم 09، http://www.aljabriabed.net/n25_09ucan.(2).htm ، ت 20 / 04 /2016.

[2] المرجع نفسه، http://www.aljabriabed.net/n25_09ucan.(2).htm ، ت 20 / 04 / 2016.

ويظهر لنا "السكاكي" منطقيَّ التوجُّه من خلال هذا التقسيم الذي يحمل ثلاثة أوجه، علم الصرف والنحو وعلم المعاني والبيان، ويعرف "السكاكي" هذا الأخير بقوله : ((وإذ قد تحققت أن علم المعاني والبيان هو معرفة خواص تراكيب الكلام ومعرفة صياغات المعاني ليتوصل بها على توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك وعند علم مقام عندك أن الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها علمت أن تتبع تراكيب الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان)).[1]

وعلى هذا يمكن القول أنَّ ما قدمه "السكاكي" في هذا الباب من مفاهيم منطوية تحت اسم البلاغة بمعناها العام، ما هو إلا معطيات وضوابط متعلقة بعلوم الخطاب والتداوليات، تتدخَّل فيها عناصر الصرف، والنحو، والمعاني والبيان، وهي المستويات المشكلة للكلام والضابطة له، فالكلام الحسن عنده ما طابق لمقتضى الحال حيث يقول: ((فإن كان مقتضى الحال وإطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طي ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه المذكورة فحسن الكلام وروده على الاعتبار المناسب، وكذا إن كان المقتضى ترك المسند فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره وإن كان المقتضى إثباته مخصصاً بشيء من التخصيصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة من الاعتبارات المقدم ذكرها وكذا إن كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها والإيجاز معها أو الإطناب أعني طي جمل عن البين ولا طيها فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك))[2] ، فهذا القول يتضمن كل ما يحتاجه الكلام حتى يؤدي وظيفته التواصلية بشكل حسن، فهي إشارة إلى علم "السكاكي" بأدوات الحجاج وقوانين الخطاب.

وبهذه الرؤية يمكننا القول أن الحِجَاج بمصطلحاته قد حمل عدة أوجه في الدراسات البلاغية العربية، تمثلت ثلاث توجهات هي التوجه البلاغي الخطابي، وهذا ما بيناه من خلال مشروع الجاحظ البلاغي

[1] السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م،ج 1، ص 432.
[2] المرجع نفسه، ص 168.

في كتابه البيان والتبيين، وتوجه بلاغي بياني أوردنا في هذا العنصر مجهودات ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان، وتوجه بلاغي منطقي تمثل في ما قدمه السكاكي في كتابه مفتاح العلوم. وإلى جانب الجاحظ والسكاكي وابن وهب، هناك أيضا أقطاب أخرى لم يتسنى لنا ذكرهم أمثال عبد "القاهر الجرجاني"، والذي يعتبر أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة، وهذا ما وضحه "طه عبد الرحمان" في كتابه... حيث يقول: ((إن أول من استخدم آليات حجاجية لوصف الاستعارة هو إمام البلاغيين العرب عبد القاهر الجرجاني، فقد أدخل مفهوم الإدعاء بمقتضياته التداولية الثلاثة : التقرير والتحقيق والتدليل، كما استفاد في ثنايا أبحاثه من مفهوم التعارض من غير أن يطرحه طرحا إجرائيا صريحا))[1]، وأبو هلال العسكري، وابن طباطا، وابن رشيق، وحازم القرطاجني وغيرهم.

وبهذه الدراسة يمكن أنّ نُعطي نظرة عامة عما قدمته الدراسات العربية في جهود ساهمة في بلورت مصطلح الحجاج بالمفهوم المتناول اليوم، إذ يُعتبر الموروث العربي في هذا الإطار – إلى جانب ما قدَّمته الدراسات الغربية القديمة من جهود – الإرهاصات الأولى التي ساعدت على تطور البلاغة بمفهومها القديم للوصول إلى أرقى مراحل الدراسات البلاغية الحديثة على يد بعض المفكرين الغربيين أمثال بيرلمان وتيتكاه وديكرو ...وغيرهم ممن ساهم في الرقي بالبلاغة القديمة إلى ما يعرف اليوم بالبلاغة الجديدة أو الحجاج.

1 – 2 – الحجاج في البلاغة الغربية القديمة:

تعود جذور الحجاج في البلاغة الغربية القديمة إلى ما قدَّمه الفلاسفة والمفكرون اليونانيون، الذين تناولوا الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسات الحجاجية بأشكال مختلفة، وذلك تحت باب الدراسات البلاغية والخطابة، وما قدموه من موروث في الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، وفي هذا المبحث سنحاول التطرق لبعض ما قدَّمه فلاسفة هذه الفترة التاريخية للدراسة الغربية.

[1] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان او التكوثر العقلي، ص 313.

1 – 2 – 1 – ما يدين به الحجاج للسفسطائيين:

اقترن ظهور "السفسطائيين" في اليونان –كحركة فكرية فلسفية – مع ظهور النثر الفني في القرن السادس قبل الميلاد، الذي شغل محاور الدراسات التي تبنتها الكثير من الاتجاهات الفكرية منها: المدرسة "اليونية" التي أسسها "تاليس" والتي ((انكبَّ فلاسفة هذه المدرسة على دراسات الطبيعة))[1] والعناصر التي تمثلها. والمدرسة "الايلية" على يد "اكسنوفان"، حيث كان اتجاه هذه المدرسة مناقضا لما تبنته سابقتها فـ((كان الاتجاه في المدرسة مثاليا لا ماديا ولا عدديا))[2] ميَّالا إلى الناحية الدينية.

وإلى جانب هذين المدرستين ظهرت جماعتان إحداهما توجهها التوفيق بين المدرستين، والثانية مخالفة لم تأبه لآراء المدرستين، تمثلت في جماعة السفسطائيين التي اعتمدت في توجهها المخالف هذا مبدأين علميين كان لهما الأثر في الحركة الفكرية، تمثلا في ((مبدأ المنفعة أو الشيء النافع، ومبدأ الحقيقة أو الحق))[3]، وبذلك غيرت من مفهوم الفلسفة التي اهتمت بالجانب الروحي والمادي إلى دراسة الإنسان جانبه الأخلاقي والسلوكي والتواصلي، معارضة الكثير من العلماء، بل واعتبرت أنَّ الجديرون بتسمية العلماء هم الخطباء والبلغاء وحدهم لأن العلماء هم صناع الكلام، وبهذه الحرية الفكرية فقد ((سعد النثر الفني من قيود العلم وقيود القاعدة، وأصبح الكلام المحل الأول، وحل الخطيب محل العالم والفيلسوف، ووقف الخطيب أمام العلماء يجادلهم جدلا حرا يرجع فيه إلى صدق حسه، وإلى ما يجده في نفسه))[4].

إن التوجُّه الفلسفي للسفسطائيين الذي اهتم باللغة والبلاغة والخطابة، والذي أُخضعت فيه كل ((التصورات الأخلاقية والاجتماعية التي كانت سائدة في عصرهم لنقد لاذع تماما))[5] يؤدي بنا إلى إرجاع الاستراتيجية الحجاجية إلى أصلها ومنطلق ظهورها الأول لدى السفسطائيين، فهم ((أول

---

[1] سلامه، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 1، 1950 م، ص 18.

[2] المرجع نفسه، ص 18 .

[3] المرجع نفسه، ص 19 .

[4] المرجع نفسه، ص 20 .

[5] كريستيان، بلانتان، الحِجاج، تر: عبد القادر المهيري – عبد الله صولة، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2009م.ص 11 – 12.

الواضعين الحقيقيين لعلم الخطابة))[1] فالخطاب عندهم: ((أداة إقناع واقتناع تحملك على الاعتقاد والظن بشتى الوسائل من دون أن تعير اهتماما للحق والباطل))[2]، فممارستهم الحجاج إذا تكمن في ((بناء حُججهم على فكرة النفعية المتعلقة باللَّذة ...وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام الذي يدور فيه الحوار ... وتعتبر هاتان الفكرتان – التوجيه والتوظيف – أيضا من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائيٌ قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة))[3]، لذلك ينبغي لكل مقاربة للحجاج السائدة أن تأخذ بعين الاعتبار ما قدمه السفسطائيون في هذا المجال.

1 – 2 – 2 – الحجاج عند أفلاطون: Platon:

بدأ "أفلاطون" طريقه في هذا الجانب – متبعا معلمه "سقراط" – من خلال صراع أساسه مسألَيَّة القول كلام وفكر مع السفسطائيين، في محاوراته التي أودعها في كتبه منها : "جوريجياس" و "فيدر"، والتي أنكر فيها منهج السفسطائيين وتفكيرهم، ليقدم على إثرها ((تصورا فلسفيا عقلانيا مجردا؛ إذ أعطى الأولية للفكر والعقل والمثال، بينما لا وجود للمحسوس في فلسفة المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي))[4]، وقد وظف أفلاطون في محاورتاه هذه الجدل التوليدي حيث كان الجدل عنده هو ((المنهج الذي به تتجرد النفس من المحسوس، وترتفع إلى المعقول دون استخدام المحسوس... وتنقسم الجدلية عنده إلى نوعين: جدلية صاعدة من العالم المحسوس إلى الخير الأسمى، وجدلية هابطة من الخير الأسمى إلى العالم المحسوس، ومن ثم، فالجدل هو الذي يحسن السؤال والجواب)).[5]

وفي ظل هذا الصراع الفلسفي العالي فقد كان موضوع جدال أفلاطون للسفسطائيين الخطابة ووظيفتها مخلصا إياها من سلطة الفلسفة والأخلاق في محاورة "جوريجياس"، وفي "فيدر" درس نصا من نصوصهم الحجاجية، وكان منطلقه هنا واحدا تمثل في الحجاج ومقصده في ضوء قيمتي "الحق"

---

[1] بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة نقدُ (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة، دار الطلبة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 2005م، ص 12.

[2] المرجع نفسه، ص 13.

[3] محمد الأمين الطلبة، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2008م، ص 27.

[4] حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، دس، www.alukah.net . ص 11 .

[5] المرجع نفسه، ص 12 – 13 .

و"الخير" مبينا في ذلك أنَّ الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر الإنسان ولا يحقق له ما به يكون الخير، فأفلاطون في نقده هذا لم يعالج الحجاج بما هو صناعة قول بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع.[1]

1 – 2 – 3 – الحجاج عند أرسطو: Aristote:

يعتبر "أرسطو" من أبرز الفلاسفة في التاريخ الذين نظَّروا في مجال الاستدلال وفنون القول خاصة ما يتعلق الأمر بالمحاور الخطابية وأصنافها المختلفة، فكان اهتمامه منصبٌّ على الخطاب ووظائفه، فوضع مفاهيم دقيقة تُمثل أصول نظرية في البلاغة القديمة، وكان للحجاج –باعتباره وضيفة أساسية في الخطاب الطبيعي– النصيب الأكبر في النظر والدراسة، فالمنطلق الأساسي لـ"أرسطو" في تناوله الحجاج وما يتصل به من صفات ونتائج فلسفية وجدلية وإنسانية واجتماعية، ((الفكرة القائلة أنّه إن كان "أفلاطون" قد رفع بتجريده ومثاليته الفلسفة من الأرض إلى السماء، فإنَّ أرسطو بدراساته الإنشائية التواصلية قد أعادها إلى الأرض)).[2]

وبهذا فإن دراسته الحجاج قد تأسست على ركيزتين أساسيتين ((الأولى يختزلها مفهوم الاستدلال raisonnement والثانية تقوم على البحث اللغوي الوجودي))[3]، فتناوله للحجاج إذا كان تناولا منطقيا بالأساس، تمثل في مشروع دراسة الاستدلال الذي يمثل الصورة المنطقية للجدل بالمفهوم الحجاجي، واستعراض قواعده المنتجة في أجناس الأقاويل الجامعة المستعملة في فضاءات حياة الإنسان المختلفة، مما جعل منطقه منطقين: منطق البرهان ومنطق الرجحان وفي هذا الثاني عرض نظريته بما يعرف اليوم بالحجاج.[4]

ولقد أعطى "أرسطو" مراحل أربعة – جعلها خطاطة بنى عليها كتابه "الخطابة"– في إنتاج القول الحجاجي تمثلت في :

---

[1] يُنظر: الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شر: حمادي صمودي، كلية الآداب منوبة، جامعة تونس، دط، دس، ص 71 – 72.

[2] محمد الأمين الطلبة، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 32 .

[3] المرجع نفسه، ص 36.

[4] يُنظر: الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، ص105.

- مرحلة البحث عن مواد الحجاج.
- مرحلة ترتيب أجزاء القول.
- مرحلة التحسينات أو اختيار الألفاظ للتعبيرات.
- مرحلة الأخذ بالوجوه أو الإلقاء.[1]

وبهذا العمل الذي قدمه "أرسطو" في مجال الخطابة والحجاج صار أستاذاً لمن بحث بعده في موضوع الخطابة من القدماء وغيرهم، حيث مثلت نظريته في التأثير وما يقبله الجمهور أو يرفضه أهمية كبيرة عند المحدثين باعتبارها دعامة .تقوم عليها دراساتهم في البلاغة الجديد.

2- الحجاج في الدرس الحديث:

2 – 1 – الحجاج عند العرب حديثا:

تعتبر تلك النظريات والمشاريع البلاغية التي أفاضت بها كتب ومقالات الباحثين العرب المحدثين – بما فيها من مسلمات واستنتاجات منتقاة من التاريخ البلاغي العربي واليوناني– العامل الأساسي في إثراء الدرس البلاغي العربي، فهم بهذه الأعمال الجادة والدقيقة قد أعادوا الاعتبار لما حمله التراث العربي من مفاهيم واصطلاحات في الدرس البلاغي، وسنكتفي بذكر ثلاثة باحثين نحاول من خلال ما قدموه أعطاء صورة ولو ببسيطة عن المجهودات التي قدموها في مجال البحث البلاغي الحجاجي العربي الحديث:

2 – 1 – 1 – الحجاج عند "محمد العمري":

بدأ "محمد العمري" دراساته وأبحاثه في الدرس البلاغي الجديد أو الحجاج من باب الإقناع، فكانت نظرته للحجاج إقناعية يغلب عليها الطابع الفلسفي اليوناني القديم، حيث يقول: ((وقديما عمل أفلاطون في محاورته على الخطابة لاهتمامها بالإقناع بدل البحث عن الحقيقة)).[2] فهو اعتمد على الدعائم الأريطورية لبلاغة الخطاب، باعتبارها جسر وصول المُخَاطِب في خطابه للإقناع، ويظهر هذا جليا في كتابه " بلاغة الخطاب الإقناعي" حيث يقول : ((وبدأ الحنين من جديد إلى

[1] يُنظر: المرجع السابق، ص 174.

[2] العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، دار إفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2002م، ص 13.

"ريطورية" أرسطو التي تتوصل إلى الإقناع في كل حالة على حده بوسائل متنوعة حسب الأحوال...)).[1]

فالمشروع البلاغي الذي مثَّله كتاب "بلاغة الخطاب الإقناعي" لـ" محمد العمري" يحمل في طيّاته إشارات للبعد الإقناعي في بلاغة الجاحظ ومن سجَّل معه تراث البلاغة العربية، فطبّق ((التصور البلاغي لبرلمان – لعمقه وبساطته وارتباطه مباشرة بأرسطو مما يسمح باستيعاب الجاحظ بيسر كما يقول – على الخطابة العربية في القرن الأول الهجري، مجتهدا في كشف آلياتها الإقناعية التي تميزها عن الشعر)).[2]

2 – 1 – 2 : الحجاج عند "طه عبد الرحمان":

يُعتبر الدكتور "طه عبد الرحمن" من أبرز المفكرين والفلاسفة الذين أبدعوا ونظَّروا في مجال الحجاج، وإن ما يميز عمله عن غيره من الباحثين طغيان الطابع الفلسفي في دراساته، فهو درس الحجاج باعتباره الوسيلة الأكثر تأثيرا في نفوس المتلقين يستعملها المتكلم بهدف الإقناع، إذ حد الحجاج عنده ((أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصومة يحق له الاعتراض عليه))[3]، فهدفه تناول الحجاج باعتباره استراتيجية إقناعية تهدف إلى التأثير في المتلقي بحيث تأخذه لفعل شيء أو الاعتقاد بشيء يريده المُتكلم، إذ يحق للمتلقي الاعتراض على ما يحمله المُتكلم من مسلمات، ولقد ركز "طه عبد" الرحمن" في مشروعه البلاغي الفلسفي الذي أورده في كتبه المختلفة على نقاط هي كالتالي:

مرتكزات طه عبد الرحمن

الخطاب والحجاج ⟷ أنواع الحجج ⟷ أصناف الحجج ⟷ السلم الحجاجي

- الحجة المساوية
- الحجج العليا
- الحجة الدنيا

- الحجاج التجريدي
- الحجاج التقويمي
- الحجاج التوجيهي

[1] المرجع السابق، ص 14.

[2] بن خرّاف، ابتسام، تلقي النص البلاغي عند الطتور محمد العمري (مقاربة وصفية تحليلية)، مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءات ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد 5، 2013، ص 52 .

[3] عبد الرحمان، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

2 – 1 – 3 – الحجاج عند "أبي بكر العزاوي" :

لقد أسهم "أبو بكر العزاوي" في هذا المجال بدوره حيث درس الحجاج في مستوى اللغة بدءا من تعريف نظرية الحجاج وتوضيح مفاهيم الدلالات الحجاجية...وغيرها، وذلك من خلال كتابين اعتبرهما "العزاوي" يشكلان مشروعا واحدا في نظرية الحجاج هما كتاب "اللغة والحجاج": والذي يدرس ((الحجاج في مستوى اللغة، أي انطلاقا من الظواهر اللغوية (روابط لغوية، استعارة، أفعال لغوية...) وهو يصف الجوانب الحجاجية في اللغة العربية))[1] والكتاب الثاني " الخطاب والحجاج": والذي يدرس ((الحجاج في مستوى الخطاب ويتمِّمَهُ)).[2]

كما تعرض أيضا – في العديد من المقالات – لدراسة الشعر والنثر دراسة حجاجية ومن بينها ما جاء بعنوان (نحو مقاربة حجاجية للاستعارة) والتي طبق فيها مفهوم السلم الحجاجي على الاستعارة مستنتجا أن الاستعارة تفضل الحقيقة من ناحية قوتها الحجاجية مبينا ما تحمله الأقوال الاستعارية أقوى في الحجاج التأثير من الأقوال العادية، لذلك تُقدَّم الحجة الاستعارية في بعض السياقات باعتبارها الدليل الأقوى، لأنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وتحقيق أهدافه الحجاجية، إذ تعتبر النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية.[3]

تعتبر الدراسات العربية الحديثة في ميادين البلاغة الجديدة من الأعمال المُحييَ المكملة لما ساقه لنا تاريخ البلاغة العربية من جهود على يد الكثير من العلماء العرب الذين تعرضنا لهم سابقا في هذا البحث وغيرهم ممن لم يتسنى لنا التعرض لجهودهم، فـ"طه عبد الرحمان" و"أبو بكر العزاوي" و"محمد العمري" ومن سار في طريقهم، تمكنوا من إعادة قراءة البلاغة العربية بعين الخطابة الجديدة أو الفكر البلاغي الحديث والمعاصر مما أسهم في تطور الدرس الحجاجي العربي حاليا في شتى مجالاته.

---

[1] العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة النشر، بيروت – لبنان، ط1، 2010م، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص10.

[3] يُنظر، الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 452.

2 – 2 – الحجاج في الدراسات الغربية حديثا:

لقد أعطت الدراسات الغربية الحديثة للحجاج تصورا أدق من التصور الذي كان عليه في الدراسات القديمة، وذلك من خلال تعديلات وإضافات جعلت من الحجاج نظرية غربية حديثة، فدُرس الحجاج من جانبين اثنين: جانب بلاغي تمثل في مشروع برلمان، وجانب تداولي تمثله دراسات "ديكرو"، وسنورد في هذا المبحث نبذة موجزة نعالج فيها ما قدمه هاذين العالمين في ميادين البلاغة والتداولية من خلال دراستهما الحجاج، رغم اختلافهما في التوجه الدراسي لهذه النظرية.

2 – 2 – 1 – البلاغة الجديدة أو الحجاج عند بيرلمان (Chaim Perelman):

يمثل العمل الكبير الذي شهده العصر الحديث في مضامير الدراسات البلاغية، الثورة التي بعثت الروح من جديد للبلاغة القديمة، عبر إضافات حملت الدرس البلاغي القديم إلى ما يُعرف اليوم بالبلاغة الجديدة أو الحجاج، وكان ذلك على يد طائفة من المفكرين والفلاسفة الغربيين، أمثال "رولان بارت" و"تودورف" وخاصة ما قدَّمه "بيرلمان" وغيره ممن حملوا لواء النهضة البلاغية،حيث استطاعوا ((أن يجعلوا من البلاغة مبحثا علميا عصريا))[1]، بل ويمكن القول أنَّ ((الثورة البلاغية الحقيقية هي تلك التي قادها "بيرلمان" في مجال البلاغة مطلع هذا القرن بنظريته الحجاجية أو البلاغة الجديدة))،[2] ويؤكد هذه الرؤية "ميشال ميار" بقوله: ((إن الثورة الكبرى في البلاغة خلال هذا القرن قد أنجزها سواء سلمنا بذلك أم لا "شايم بيرلمان"...)).[3]

إنَّ أكثر أعمال "بيرلمان" حضورا في حقل دراسته الحجاج هو ما يعرف بكتاب أو مقال قدَّمه في البرهان سماه بـ(("البلاغة الجديدة"، وقد اعتمد محاولة لإعادة وتأسيس البرهان أو الحاجة الاستدلالية))[4]، وفي كتاب آخر له بالاشتراك مع "تيتكاه" هو بـ"مصنف في الحجاج" (Traite de l"argumentation)، درسا فيه مجمل الوسائل والتقنيات التي من تؤثر في المتلقي بالتغيير في

---

[1] العمري، محمد، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م، ص 22 .

[2] بوزناشة، نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، مجلة علوم إنسانية، العدد 44، 2010م، ص2 .

[3] المرجع نفسه، ص2 .

[4] حشاني، عباس، مصطلح الحجاج بواعثه و تقنياته، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة، العدد 9، 2013، ص 269 .

التوجه الفكري لديه وذلك بالتسليم بما يعرض عليه من أفكار هي موضوع المُخاطِب في خطابه وهدفه في العملية الحجاجية، فيقولا: ((موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم)).[1]

وبما أنّ حد الحجاج هو: ((كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها))[2]، فقد عمد "بيرلمان" إلى تتناول الحجاج بوصفه خطاب يستهدف استمالة عقل المتلقي وبهذا يتخذ الحجاج عنده مفهومين: الأول باعتباره ((طريقة تحليل و استدلال، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد و السلوك))[3]، والثاني يكمن في كونه ((عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين)).[4]

ويمكن لنا تلخيص الملامح العامة لبلاغة "برلمان" في نقاط هي:

- إن البلاغة الجديدة تتعلق بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين من جمهور ما أو فرد واحد، أو حتى في الحوار الذاتي بين المتكلم ونفسه، وبهذا فهي وسعت دائرة المستمع بخلاف الحال في الدراسات القديمة.
- إن موضوع بلاغته تغطية كل الخطاب المستهدف للإقناع أو الإثبات، وذلك كيف ما كان حال المستمع والمادة المطروحة فيه، بشرط أن يكون محتملا وليس به يقين.
- إن الحجاج عنده قد تخطى الفلسفة والقانون إلى كل نواحي الحيات وماله صلة بالإنسان.
- كان هدف "برلمان" في مشروعه هذا إعادة الاعتبار للبلاغة وتصحيح مسارها عن طريق الاستفادة من المراحل السابقة بغية رسم صورة أكثر دقة ووضوح للبلاغة.

---

[1] صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص27.

[2] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226 .

[3] عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب القاهرة، مصر، دط، 2000، ص105.

[4] المرجع نفسه، ص 106.

- الحجاج عنده يهتم بالمُخاطِب الذي يسعى إلى تفعيل المُخاطَب ووصف كل ما ابتعد عن العلم والعقل بالمجرد. فهذا الذي ساعد "برلمان" على ربط الجدل بالبلاغة ضمن مشروعه.[1]

2 – 2 – 2 – الحجاج في التداولية عند "ديكرو":

تؤكد بعض الآراء أن المنطلق الأساسي لنظرية الحجاج هو من اللغة وليس من الجانب الجدلي، والبلاغة ما هي إلا مقدمات تمهيدية لنظرية الحجاج، فالإطار الذي يسير فيه الحجاج منبثق من التداولية لارتباط الحجاج باللغة وليس بالمنطق وهذا ما أكده بعض اللسانيون في مقدمتهم "ديكرو"، إذ اعتبره "أبو بكر العزاوي" المؤسس الفعلي لنظرية الحجاج، وذلك من خلال قوله: ((إن هذه النظرية التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي "أزفالد ديكرو(o.ducrot) منذ 1973 نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مفادها (أننا نتكلم عامة بقصد التأثير))).[2]

وكان منطلق "ديكرو" في نظريته منبثقا من أعماق نظرية الأفعال اللغوية لـ"أوستن" و"سيرول"، فبعد احتضانه أفكارهما عمل "ديكرو" على تطوير هذه الأفكار، فتوصل على بعض الإضافات في هذا الإطار تمثلت في فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، ويمكن لنا أن نرى وجهة "ديكرو" في تناوله الحجاج من خلاله تعريفه له مع زميله " أوكسمبر" حيث يقولا: ((إنَّ الحجاج يكون بتقديم المتكلّم قولا ق1 (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق 2 (أو مجموعة أقوال أخرى)))[3] ،ومثالهما في ذلك هو ((إنَّ في قولنا لنحرج للنزهة بما أنَّ الطقس جميل أو في قولنا : الطقس جميل فلنحرج للنزهة)).[4]

---

[1] يُنظر: بوزناشة، نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، ص 2 – 3 .

[2] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 14.

[3] صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص 33.

[4] المرجع نفسه، ص 33 – 34 .

ق 1 : (الحجة المصرح بها) ←——— الطقس جميل

↓ ق 1 تؤدي إلى ظهور ق 2 ↓

ق 2 : (الاستنتاج) ←——— فلنخر للنزهة

فالحجاج عند "ديكرو" إذا ((هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها)).[1] وتتسم الحجَّة اللغوية عنده بعدة سمات هي :

- **إنها سياقية** : حيث أن الخطاب – الذي يتلفظ به المتكلم– أو الحجة، يؤدي إلى خطاب آخر أو حجة أخرى هي نتيجة الخطاب الأول، حيث أنَّ السياق هو الذي يعطيه خاصيته الحجاجية.[2]

– **إنها نسبية** : أي أنَّ الحجج متفاوتة في تأثيرها فـ((هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف)).[3]

– **إنها قابلة للإبطال**: أي الحجة هنا قابلة للرد والرفض من قبل المتلقي إما برفضها بحجة أخرى أقوى منها أو عدم الاقتناع بها كمسلمة خطاب بالنسبة للمتكلم.

وعليه يمكن القول أنَّ "أزفالد ديكرو" قد حصر ((درس الحجاج في نطاق دراسة اللغة لا في البحث عما هو واقع خارجها فعنده أنَّ إمكانيات التتابع الحجاجي تتحدد من خلال عمل لغوي (acte de langage) مخصوص هو عمل الحجاج)).[4]

---

[1] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 16 .

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 19.

[3] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 19 .

[4] صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم، ص 34.

ثانيا – الآليات اللغوية في الاستراتيجية الحجاجية:

1 – الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية:

تضم هذه الاستراتيجية مجموعة من الوسائل التي يستخدمها المتكلم في خطابة بهدف التقرُّب من المتلقي للتأثير والإقناع، بل ويكمن دورها الأساسي في أنها تجسِّد درجة علاقته بالمتلقي ونوعها ((وأن يُعبِّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما))[1]، وفي هذا المبحث سنتكفَّل بذكر بعض الوسائل اللغوية التضمنية المجسِّدة للخطاب، وهي تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

- الأدوات، وتمل الإشاريات عموما، الموجودة في المعجم اللغوي.
- الآليات، وتمثل الوسائل التي يختارها صاحب الخطاب ليبني خطابه من خلالها.

1 – 1 – الأدوات اللغوية:

1 – 1 – 1 – العلَم: وهي ما يستعمله المتكلم من وسائل للدلالة على العلم كالاسم والكنية ...الخ. وهي:

1 – 1 – 1 – 1 – الاسم الأول : يستعمله الخطيب في خطابه إما نداءً للمتلقي في خطابه وحديثا عنه وهذا الاستعمال ذو دلالات كالقرابة (قرابة مادية ، عاطفية) مثلا، ويستعمله أيضا للتعريف بنفسه مع غيره، وذلك :

إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المتلقي، ولديه استعداد لمحو تلك المرتبة، مثل خطاب الطبيب للمريض – رغم أنه يعلو عليه في المرتبة – باسمه الأول ليبدي تضامنه معه بالتعامل الخطابي الأفضل. مثل : مم تشتكي يا أحمد؟...الخ.[2]

أو كان أدنى منه مرتبة، حين يجد رغبة لدى المرسل إليه في محو تلك المرتبة، وذلك مثلا عند مناداة الخادم سيِّده باسمه الأول دون قوله سيِّدي، وذلك عندما يجد رغبة لدى سيّده في محو الفارق بينهما،

---

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 257 .

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 270.

فيقول: نعم يا أحمد، بدل قوله: نعم يا سيِّدي، وهذا ما يبين أنَّ تضامن بينهما كبير، وذلك رغبة من صاحب المرتبة العليا أنّ يُشْعِر صاحب المرتبة الدنيا بالمساواة.

وإذا كان متساويا مع المتلقي في المرتبة، والسن أو المهنة أو المكانة الاجتماعية، مثل تلفُّظ مُقدم النشرة الإخبارية باسم زميله عند التقديم، فيقول: تبدأ الأنباء مع الزميل عُمر، فيرد زميله: شكرا، عبد القادر، وهذا مؤشر على كفاءتهم التداولية، فهما لم يستعملا الإشارة أو شيئا من هذا القبيل، حيث يبينا أنَّ التضامن بينهما قد بلغ حدًّ كبيرا باستعمال الاسم الأول ،بحيث لا تبدو هناك فوارق بين الاثنين، وهو ما يُسمى بالاستعمال المماثل.[1]

ومع ذلك يمكن أنّ يكون قصد المرسل أو المتكلم فرض سلطة لا تضامنا وهذا بحسب قصده من خطابه، مما يبين لنا أن الخطاب في ذاته يحمل لونين حجاجيين في هذا الإطار في نفس الوقت، الأول يكون بهدف التضامن والثاني فحواه ممارسة سلطة ما، ومثال ذلك ((أنَّهُ يمكن أن أناديك باستعمال الاسم الأول، وذلك لأننا صديقان متضامنان، أو لأنَّني أعلى منك مقاما وبالتالي سلطة)).[2]

1 – 1 – 1 – 2 – الكنية : تعتبر الكنية من أكثر الوسائل استعمالا في الاستراتيجية التضمنية، إذ يلجأ المخُاطب إلى الكنية عوضا عن الاسم الأول بهدف ((اعتبار التضامن مع قدر قليل من الرسميَّة، إلا أنَّ مقدار التضامن يزيد كثيرا عن مقدار الرسميَّة))[3]، والكنية تكون على أوجه ثالثها ((التفخيم والتعظيمُ، ومنه اشتقت الكنيةُ وهو أن يُعَظَّمَ الرَّجل أن يُدعى باسمه، ووقعت في الكلام على ضربين: وقعت في الصبيِّ على جهة التفاؤل؛ بأن يكون له ولدٌ ويدعى ولده كنايةً عن أسمه، وفي الكبير أن ينادى باسم ولده صيانةً لاسمِهِ؛ وإنما يقال: كنيَ عن كذا بكذا، أي تركَ كذا إلى كذا، لبعض ما ذكرنا)).[4]

---

[1] يُنظر: المرجع السابق، ص 271.

[2] المرجع نفسه، ص 273.

[3] المرجع نفسه، ص 273 .

[4] المبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 1997م، ج 2، ص216.

وتستعمل الكنية في الخطاب أقل رتبة من الاسم المجرَّد كأداة تضامنيا في العلائق بين عناصر الخطاب، مثل ذكر الرجل اسم زوجته باسم يخالف ما هو مألوف في العادة، وذلك عندما يكون مع الآخرين، فبدل أن يتلفظ بالاسم المجرد يذكر الكنية (أم عمر أو علي...) ليضفي عليها شيئا من الاحترام والرسمية في أعين الآخرين.

1 – 1– 1 – 3 – اللقب :

يعرف اللقب أنّه ((نزول المتكلم من مفهوم عام إلى آخر خاص غير وارد))[1]، وتستعمل ((الألقاب تداوليا دليلا على التضامن، بشرط أن يتلفظ بها المرسل إما بالتنغيم المستوي، أو بتنغيم مناسب للسياق وللمعنى أو القصد المراد))[2]، ويكون استعمال اللقب بديلا عن الاسم والكنية بأقل مرتبة منهما، فيستعمل :

– عند توجيه المرسل خطابه إلى المرسل إليه مثل: أعزائي المشاهدين، وذلك في الإعلام.

– وفي النصح والإرشاد مثل: أيها الحافظ حدود الله، اجتنب الشرك و...الخ.

– وفي موضع ألفاظ القرابة لغير القريب كقول الرجل لصديقه أنت أخي وهو أداة من أقوى أدوات التضامن في هذه الاستراتيجية تداوليا... وغيرها من الأمثلة.

ويمكن لهذه الأدوات السالف ذكرها أن تجتمع دالة على العلم، متفاوتة من حيث الدلالة التضامنية بين طرفي الخطاب وهو ما يعرف باجتماع الثلاثة، ومثال ذلك قولنا : إنه أبو الحسن الشيخ المعروف البصريُّ.

1 – 1 – 2 – ألفاظ المعجم:

قد يختار المتكلم من المعجم ألفاظا تنوب عن ألفاظ القرابة والألقاب والكنية، دلالة على التضامن، لتكون وسيلة لغوية في خطابة للتقرب من المتلقي، الأمثلة في ذلك كثيرة منها:

– ألفاظ التهنئة: مبروك، أهنئك...الخ.

---

[1] محمد يونس علي، محمد، علم التخاطب الإسلامي (دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص)، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006م، ص 262 .

[2] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 275 .

- مشتقات الجذر (خدم) : خادمك المخلص، خادم سيادتكم...الخ.
- انتقاء ألفاظ الوعد المعجمي مثل: أعدك أن أكون صديقا مخلصا.
- التحية بمختلف ألفاظها مثل: هلا ، مرحبا...الخ.
- ألفاظ نهاية الكلام مثل: إلى اللقاء.
- الألفاظ التي تحمل معنى الصداقة مثل أنت أفضل خلٍّ عرفته.[1]

1 – 1 – 3 – الإشاريات :

تعتبر الإشاريات أحد الوحدات المعجمية التي تستخدم كمعوضات لأسماء الذات والمكان وغيرها، وهي ((كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه))[2]، وتُستعمل في الاستراتيجية التضامنية متجاوزة الإحالة منها : ((تأسيس العلاقة الاجتماعية، والإسهام في تطويرها. وقد تكون مؤشرا على الانتماء إلى جماعة معينة، مثلا، أو دليلا على الاتفاق معها في الرأي، خصوصا إذا لم يسبق للمرسل إليه معرفة ذلك الرأي، أو التلفظ به من قبل المرسل)).[3] مثل سؤال العائلة أباهم: – نريد السفر هذا الصيف يا أبي، ولكن إلى أين؟ – نحن نتكفل بهذا الأمر.

فلقد أدت الأداة (نحن) فيه المثال وظيفتين : الأولى هي: ((أنها أداة إشارية تجمع المتكلم بالمرسل إليه، والأخرى هي : أنها مؤشر على الوظيفة التداولية أو القصدية (الموافقة))).[4]

وهذه الإشاريات تتمثل في :

---

[1] يُنظر: المرجع السابق، ص 284 – 285.

[2] الزَّناد، الأزهر، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص 116.

[3] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 287 .

[4] المرجع نفسه، ص 287.

1 – 1 – 3 – 1 – الضمائر: وتتمثل في :

- (أنت / أنتِ / أنتم / نحن) : مثل قول أفراد العائلة لابنهم الكبير: أنت أملنا الوحيد ، فيعرف المرسل إليه اهتمام المرسل به، ليضفي الصدق على خطابه، وهو دلالة تجسيد الاستراتيجية التضامنية بين الطرفين.
- (الضمير المتصل) : مثل استعمال حرف النون نيابة على (نحن) للدلالة على التضامن بين طرفي الخطاب وهذا استعمال تداولي ومثال ذلك: يمكننا أن نستشير أبانا في أمر خروجنا من البيت.

1 – 1 – 3 – 2 – أسماء الإشارة :

إن هذه العناصر أو الأسماء ، رغم كونها تلتقي في ((توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وتنظم الفضاء انطلاقا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة))[1] إلا أنها تتباين في قوتها التضامنية حسب استعمال وقصد المرسل في خطابه التداولي، كما يتعدى استعمالها المخاطَب كما ذكرنا سلفا في الألقاب والضمائر إلى الغائب تأدبا في السياق الخطابي بوصفه مُشارا إليه.

ويعدُّ ((الربط بين استعمال إشاريَّات الغائب وبين الإسناد في اللغة من علامات قدرتها على تجسيد التضامن))[2] فيستعمل المرسل المبادلة بين اسمي الإشارة القريب والبعيد، فينوب البعيد عن القريب ربما لعظمة المُشار إليه مثل قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾[3].

1 – 2 – الآليات اللغوية:

1 – 2 – 1 – المكاشفة:

قد يلجأ المرسل إلى كشف ذاته للمرسل إليه تقرُّبا منه، فكشف الذات أو المكاشفة استراتيجية تضامنية يعتمدها المُخاطب في خطابه دليلا على تضامنه مع من يخاطبه، والثقة فيه، ولكن طريقة المكاشفة تختلف وتتفاوت في الإستعمال من شخص إلى آخر، أو فلنقل تتفاوت حسب العناصر

---

[1] الزَّناد، الأزهر، نسيج النص، ص 116 .

[2] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 301 .

[3] سورة طه، الآية: 17.

المُخاطَبَة، فالمتكلم قد يكون صريحا أكثر في كلامه مع شخص ما وقد يكون أقل إظهارا وصراحة مع شخص آخر، مثل أن يقول مخاطبا شخص ما:

- لقد نزلت اليوم السوق واشتريت ما يلزم للبيت

بينما في حديثه مع شخص آخر يكون أكثر إفصاحا إذ يعطيه أدق التفاصيل فيقول:

- ذهبت إلى السوق صباحا واشتريت كذا وكذا للبيت بكذا وكذا من المال.

ففي هذا التفاوت تكون الحميمية السبب الرئيسي في استعمال تقنية كشف الذات، فهي ((استعداد الإنسان لاطلاع إنسان معين على بعض خصوصياته الشخصية وعلى بعض ما يخفيه عن الآخرين من عالمه الداخليّ والاستعداد مبني على الثقة الشخصية وكذلك على المشاعر الجيدة)).[1]

1 – 2 – 2 – نكران الذات :

يستعمل المتكلم أثناء في خطابه أساليب عدَّة تضامنا مع من يُخاطِبَهم، ومن بينها نكران الذات وعدم الإفصاح عن الشخصية بالنسبة للمرسل، وهذه الاستراتيجية نجدها مُستعملة بشكل كبير في مجال الخطاب الإعلامي، و الخطاب الجماهيري المباشر، والكتاب في كتاباتهم، كما تستعمل أيضا في شتى مجالات الحياة اليومية، ومن أمثلة ذلك نذكر:

- يستعملها الصحفي أثناء تقديمه الأخبار فيبدأها قائلا: هذه الأنباء يقدمها لكم سعيد، فيذكر اسمه وكأنه يتحدث عن غيره.
- يحيل الكاتب أو المؤلف عادة كلامه في الكثير من خطاباته فيقول: انظر كاتب هذه الفقرة.
- ينكر الصغار في الكثير من الأحيان ألقابهم تضامنا، وذلك ربما تقربا من آبائهم فيقول محيل ذاته بذكر اسمه دون لقبه : محمد بن عبد القادر .[2]

1 – 2 – 3 – الإعجاب (أسلوب التعجب):

يستعمل أسلوب التعجب على غير الحالات العادية، كآلية إعجاب للتضامن مع المرسل إليه وذلك ((بجعل ما هو معروف في مكانة المُبهم لأن الشيء الذي أُبهم كان أفخم لمعناه وكانت

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 304 .

[2] يُنظر: المرجع نفسه، ص 304 – 305.

النفس متشوقة إليه لاحتماله أمورا))[1]، فجملة الإعجاب هنا ((تمثل أساسا مزاج المتكلم أو مواقفه أو رغبته، وهي على ما هو مفترض، تمثل التعبير العفوي عنها))[2]، ومن أمثلة ذلك نذكر:

- ما شاء الله – تبارك الله : تستعمل كثيرا في التضامن مع المرسل إليه كاستعمال المعلم لها في القسم عند حصول تلاميذه على نتائج جيدة تضامنا معهم.
- في المدح مثل قولهم: نعم الرجل عبد الله، حبذا الشيخ المسن، فهذه الأساليب تستعمل تضامنا مع المرسل إليه.

1 – 2 – 4 – التصغير :

يُعتبر التصغير من الآليات التي تُستخدم في الخطاب تضامنا مع المتلقي، فيلجأ المخاطب في كلامه لأسلوب التصغير تداوليا بهدف التقرُّب من المتلقي، قال الخليل: ((لفظ التصغير على أربعة أنحاء : تصغير وتعظيم وتقريب وتحنين))[3]، إذ تُستعمل هذه الآلية أيضا للتخفيف من حدة الأفعال كالطلب والأمر والشرط وغيرها، نحو:

- يا أخيتي، يا عميمتي.
- استعمال الألفاظ الدالة على التصغير نحو: ربحنا قليلا من الوقت.

1 – 2 – 5 – الطرفة :

تعد الطرفة أو أسلوب المداعبة من الآليات التضامنية التي يستخدمها المرسل في الأغراض التي يتضمنها المزاح للتقارب والتضامن مع المرسل إليه، والأمثلة في هذا الباب كثيرة نذكر منها: ما كتبه "أبو علي حسن بن رشيق" لبعض رؤسائه عن طريق الدعابة للتقرب

إنّي لقيتُ مشقَّهْ ... فابعث إلي بشُقَّةْ ،كمثل وجْهِكَ حُسنا ... ومثل دِينَي رِقَّة

---

[1] المرجع السابق، ص 307 .

[2] موشلر، جاك – ريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعت خالد ميلاد، دار سيانترا، تونس، ط 2، 2010م، ص55.

[3] البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس – عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م، ص 371.

فقال له الرئيس: أما مثل دينك رقة، فلا يوجد إلا بوزن أمثال رمال الرقة؛ ثم استحسن في هذه المداعبة أدبه، فقضى أربه.[1]

1 – 2 – 6 – المصانعة:

المصانعة مماثلة أو مطاوعة أو مداراة في الخطاب، ونعني بها تداوليا: ((العمل على منوال المرسل في اللغة، وليس الموافقة في الرأي))[2]، فهذه الآلية أحد مرتكزات الاستراتيجية التضامنية إذ يلجأ لها المرسل إليه أو المرسل في حالة رد المرسل إليه ليجسّد بها أبعاد تضامنية مع من يخاطبه، ومثال ذلك مطاوعة الشعبي للحجاج في احد المحاورات حيث: ((إن الحجاج قال له يوما كم عطائك في السنة، فقال ألفين، فقال له ويحك كم عطاؤك، قال ألفان، فقال ويحك كيف لحنت أولا، فقال لحن الأمير فلحنت، فلما أعرب أعربت، وما يحسن أن يلحن الأمير وأعرب. فاستحسن ذلك منه وأجازه)).[3]

فرغم أن "الشعبي" كان على علم بلحن "الحجاج"، طاوعه في اللغة وذلك من باب التضامن.

وتكون المصانعة في أشكال عدة منها :

- اللهجة : وذلك باستعمال بعض الكلمات الدالة على لهجة أو لغة المنطقة أو المجموعة التي يخاطبها المرسل.
- مصطلح المهنة : وهو استعمال بعض المصطلحات الخاصة المتداولة بين الناس، والتي يعرفون بها حسب انتمائهم ووظائفهم.
- ذكر خصائص المرسل إليه: وهي ذكر بعض المعلومات الخاصة بالمرسل إليه، غذ يبين المرسل مدى معرفته بالمرسل إليه من خلال ذكر هذه المعلومات: مثل قولنا : أعتقد أنُّ ليس لقائنا الأول هذا اليوم.

---

[1] يُنظر: العباسي، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، دط، 1947م، ج 1، ص387.

[2] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 312.

[3] الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي ابن حجة، ثمرات الأوراق في المحاضرات، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، دط، دس، ج1، ص 89.

1 – 2 – 7 – اللغة الخاصة :

من بين الاستعمالات اللغوية التي يلجأ إليها بعض المتكلمين تضامنا في ما بينهم، استعمال ما يعرف باللغة الخاصة، حتى ينفردوا بتلك الاستعمالات دون غيرهم، وهو ما يضفي على الخطاب التميز، ويبين العلاقة القوية التي تربط بين هذه المجموعة، وتكون هذه الآلية خاصة ببعض الجماعات مثل جماعات العسكريين، الطيران، اللصوص وغيرهم، ومثال ذلك : أنّ رجلا سرق شيئا وبعثه مع ابنه ليبيعه، فسرق منه هذا الشيء، وعندما رجع سأله أبوه هل بعت هذا الشيء، يرد ابنه قائلا نعم بعته برأس المال.[1]

فمدلول لفظ رأس المال في هذا السياق (السرقة) لا يدرك معناه سوى الأب وابنه، لأنهما استعملا لغة خاصة بهما.

1 – 2 – 8 – تأنيب الذات:

تعتبر هذه الآلية من أكثر الآليات تجسيدا لاستراتيجية التضامن، إذ يلجأ المرسل من خلالها إلى تأنيب ذاته في الخطاب، لأبعاد تداولية تقربه من المتلقي، فاستعمالها يظهر مدى تضامن المتكلم مع من يخاطبه، والأمثلة في هذا الإطار كثيرة كتأنيب الذات بالهجاء مثل ما فعل "أبو دلامة" عندما هجا نفسه قائلا:

((إلا أبلغ لديك يا أبا دلامة ** فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة قلت قرد ** وخنزير إذا وضع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤما ** كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

فإن تك قد أصبت نعيم دنيا ** فلا تفرح فقد دنت القيامة)).[2]

هذه الحادثة جرت عندما أمر أمير المؤمنين "المهديُّ" "أبي دلامة" بأن يهجو أحد الحاضرين في المجلس الذي حضره، فلم يجد "أبو دلامة" إلا أنَّ هجا نفسه لعظمة من في المجلس، فهذا التأنيب رغم إفراطه، لم يرد به صاحبه إلا تضامنا مع من في المجلس رغم أنَّ أمير المؤمنين أعطاه حرية الهجاء.

---

[1] يُنظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 318.

[2] العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج 2، ص 222.

2 – الآليات اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية:

إن غاية المُخَاطِب في خطابه التبليغ وهدفه الإقناع، وعليه فإن أكثر الأمور التي يجب على المتكلم أن يراعيها في عملية الإرسال موقف السامع ومدى إمكانية تسليمه وقبوله بالأفكار التي يحملها المتكلم في خطابه، فبعض الحالات تتطلب كل أساليب التودد والرفق والنصح، وبعض تستلزم وجود نوع من الضغط أو التهديد، والتدخل في خصوصيات المتلقي، بتوجيهه بالأمر أو النهي وغيرها من الأساليب التي سنتطرق لها في هذا المبحث.

2 – 1 – الأمر :

يعد أسلوب الأمر من أكثر الأساليب استعمالا في استراتيجية التوجيه الحجاجي كونه ((طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيًّا كان ذلك الاستعلاء، أو ادعائيًّا))[1]، وهذا التعريف يجعل الأمر يحتمل إفادات متنوعة في الخطاب منها: التهديد و التعجيز، أو الدعاء والتمني، أو الحث، أو الاستمرار والدوام على تحقيق الفعل...، مما يعطي له بعد تداوليا في العملية الخطابية، ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

- في التهديد: قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ ﴾[2]، فقوله (فَلْيَكْفُر) ليس أمرا بالكفر بل ساق الكلام مساق التهديد والزجر من الكفر.
- التعجيز: قوله تعالى ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[3]، فالله تعالى غرضه من هذا الخطاب الأمري التعجيز، لأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل كلام الله (القرآن)، وبالتالي إقناع المتلقي بقدرة الله عز وجل.
- الدعاء: نحو قولنا: ربي اغفر لي وارحمني، الأمر هنا صادر من الأدنى إلى الأعلى ترجيا للمغفرة والرحمة.

---

[1] عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دس،ج 2، ص 89.

[2] سورة الكهف، جزء من الآية: 29.

[3] سورة البقرة، جزء من الآية: 32 .

- التخيير: نحو ذكر "بشار ابن برد" أنك إذا أردت ألا يزال معك صديق فعش منفردًا، أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك، وصلهم وذلك من خلال قوله:

((فَعِشْ وَاحِدًا أَوْصِلْ أخاكَ فَإِنَّهُ ** مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهْ)).[1]

وغيرها من الأغراض التي يبني عليها المخاطب أسلوب الأمر لتحقيق أهدافه في التغير في مواقف المتلقي وإقناعه باستعمال هذه الآلية.

2 – 2 – النهي :

لا يختلف النهي عن الأمر باعتبار أن عملية الإقناع في استراتيجية التوجيه في بعض الحالات تتطلب أفعال الطب، والنهي مرتبط أساسا بالمخاطب إذ هو ((محذوٌ به حذو الأمر في أن أصل استعمال – لا تفعل – أن يكون على سبيل الاستعلاء))[2]، والنهي هو ((طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون ب «لا» الناهية الجازمة))[3] وذلك نحو قوله تعالى ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾[4].

وقد يخرج النهي عن معناه الحقيقي للدلالة على معان مختلفة يظهرها سياق الكلام، هي غرض المتكلم في خطابه الموجه نحو المتلقي بهدف الإقناع والتأثير، فالتوجيه في النهي بشتى أشكاله وأغراضه من نصح وإرشاد ودعاء وتوبيخ... يكون عبر أساليب منها :

- النهي بحرف ب(لا) أو ب(لا) مع نون التوكيد : ومثال ذلك ما أوصى به "ابن هبيرة" ولده فقال:((لا تكن أول مشير، وإياك والهوى والرأي الفطير. ولا تشيرنّ على مستبد، ولا على وغد ولا على مسكون ولا على لجوج، وخف الله في موافقة هوى المستشير...)).[5]

---

[1] العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ج 2، ص 29.

[2] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 320.

[3] عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط 1، 2009م، ص 83.

[4] سورة النور، جزء من الآية: 27 .

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ – 1983م، ج 1، ص59.

وهنا استعمال النهي من قبل "ابن هبيرة " دليل على حرصه الشديد على التقيد بهذه الوصية فاستعمل النهي بوسيلتين الأولى بـ(لا) في قوله : ولا تكن أول مشير، والثانية بـ(لا) مع نون التوكيد في قوله: ولا تشيرنَّ على مستبد، وفي هذه الأخيرة استعملت نون التوكيد لأن النهي هنا يعلو النهي في الحالة الأولى فاستعملها لحرصه الشديد على تجنب هذا الأمر.

- استعمال ببعض الألفاظ التي تدل على النهي (مادة نهي ومشتقاتها) مثل:

الجنَّة محَّرمة على الكافرين، العمل هنا ممنوع على المرضى، نهاكم الله عن الشرك.... وغيرها من الأمثلة.

- استعمال الألفاظ الدالة معجميا على الترك مثل: دع عنك الكذب ،كفَّ عن ذمِّ الناس، أترك المسكين وشأنه.....الخ.
- الألفاظ الدالة على عدم الحِلّ نحو: لا يحلُّ لك شرب الخمر فهو حرام.

2 – 3 – الاستفهام :

الاستفهام أحد أهم الآليات اللغوية التوجيهية التي يرتكز استعمالها تداوليا للتأثير في الآخرين، بأن تجعل من الخطاب الموجه مادة إقناعية تسير حسب سياق الكلام ومراد المتكلم، فالاستفهام هو ((طلب حصول صورة الشيء في الذهن))[1]، وبما أنه متعلق بما هو موجود في ذهن المُخاطَبِين، فالغرض الإنجازي الذي يريده منه المتكلم هو ((حمل المُخاطَب على الاعتراف، والإقرار بأمر كان قد استقرَّ عنده))[2]، أو أخذه للتسليم بأمر أو توجيهه لفعل أمر، وذلك يكون بتوظيف هذه الآلية في أغراض عدة نذكر منها :

[1] الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1983م، ص 18.

[2] أحمد قاسم، محمد – ديب، محيي الدين، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط 1، 2003 م، ص 298.

- استعماله للأمر نحو قوله تعالى: ﴿... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾[1]، ((أي انتهوا، لفظه استفهام ومعناه أمر)).[2]
- استعماله للإنكار نحو:﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ﴾[3]، حيث يرى "الماوردي" في تفسيره لهذه الآية أنَّ ((فيه وجهان: أحدهما: أي كما يحرم أكل لحمه ميتاً يحرم غيبته حياً. الثاني: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حياً)).[4]
- استعماله للإثبات نحو: قوله تعالى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾.[5]
- استعماله للوعيد نحو: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ ﴾.[6]

2 – 4 – التحذير:

التحذير من الأساليب المعتمدة في استراتيجية التوجيه، إذ يلجأ لها المخاطِب في خطابه و لتنزيه نفسه من ((تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنه يعطي خطابه قبولا من خلال حضور الصراحة))[7] التي تبين صدق المتكلم في توجيهه، باعتبار التحذير ((تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليجتنبه))[8]، فهو تداوليا فعل مفاده توجيه المُخَاطِب لأمر يريد المتكلم في قالب النصح والتنبيه، ومثال ذلك ما قيل في التحذير من تضييع الأيام: من لعب في عمره ضيّع أيام حرثه وندم عند حصاده.

---

[1] سورة المائدة، جزء من الآية: 91.

[2] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مر: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422 هـ - 2002م، ج4، ص 108.

[3] سورة الحجرات، جزء من الآية: 119.

[4] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تفسير الماوردي = النكت والعيون، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دط، دس، ج 5، ص335.

[5] سورة الأعراف، جزء من الآية: 172.

[6] سورة الفجر، الآية: 6.

[7] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص355.

[8] هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1979م، نقلا عن : صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص 212.

2 – 5 – الإغراء :

الإغراء توجيه عمله مضاد لعمل التحذير، فإذ كان التحذير مفاده الترك، فالإغراء مفاده الدعوة لفعل شيء ما، فهو إذا: ((تنبيه المُخاطَب على أمر محمود ليلزمه أو ليفعله))[1]، والغرض من استعمال هذه الآلية تداوليا يكشفها قصد المتلقي من خلال خطابه والمواقف المصاحبة للخطاب، ومن أمثلة ذلك ((كقولك لمن أقبل يتظلم: "يا مظلوم"، فليس الغرض منه، حقيقة النداء الذي هو طلب الإقبال؛ لأن الإقبال حاصل، فلا معنى لطلبه، إنما المراد: إغراء المخاطب، وحثه على زيادة التظلم، وبث الشكوى، بقرينة الحال)).[2]

2 – 6 – التحضيض والعرض :

من الآليات اللغوية التي يستعملها المتكلم في خطابه لتوجيه المتلقي لفعل شيء يريده، استعمال آليتي التحضيض والعرض، فالتحضيض ((معناه طلب الشيء بحثّ. ومن أدواته «لولا» و «لو ما» و «هلّا» بتشديد اللام، و «ألّا» بفتح الهمزة وتشديد اللام))[3]. والعرض ((معناه طلب الشيء بلين ورفق. ومن أدواته «ألا» بفتح الهمزة وتخفيف اللام، و «أما» بفتح الهمزة وتخفيف الميم))[4]، والفرق بينهما هو ((أنّك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التحضيض تقول : الأوْلى لك أن تفعل، فلا يفوتَنَّك))[5]، ومن الأمثلة على ذلك:

- في التحضيض نحو: قولك لمن تسرّع في القيام بواجبه فلم يحسنه: لو ما تأنيت في أداء واجبك، وهذا مفاده التوبيخ.
- في العرض قوله تعالى ﴿ أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[6] مفاده الحث عن العفو مطلقا.

---

[1] ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، دط، دس، ص 288.

[2] عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة،ج 2، ص 111.

[3] عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، ص 107.

[4] المرجع نفسه، ص 108.

[5] المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، درا الكتب العلمية، بيروت، دط، 1992م، ص 382 – 383.

[6] سورة النور، جزء من الآية: 22.

2 – 7 – النداء :

النداء من آليات التوجيه التي من خلالها يتم تهيئة المتلقي لأمر يريد إيصاله المتكلم له، أو تحفيزه لردة فعل تجاه المتكلم، فالنداء إذا هو ((طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء))[1]، والغاية هنا أن يصغى المرسل إليه، لأن أغلب ما يلي النداء أمر أو نهي أو استفهام أو إخبار، وللنداء أدوات كثيرة أكثرها استعمالا (الياء)، مثلما وردت في الخطاب التالي: ((وحدثني رجل من أصحابنا، قال: شهدت رجلاً في طريق مكة معتكفاً على قبر، وهو يردد شيئاً ودموعه تكف من لحيته، فدنوت إليه لأسمع ما يقول، فجعلت العبرة تحول بينه وبين الإبانة، فقلت له: يا هذا ! فرفع رأسه إلي، وكأنما هب من رقدة، فقال: ما تشاء؟ فقلت: أعلى ابنك تبكي؟ قال: لا...))[2]، فأسلوب النداء استعمله المتكلم ليعرف حال المتلقي، فرفع رأسه رغم موقفه بفعل أسلوب النداء.

2 – 8 – التوجيه بألفاظ المعجم :

وهو استعمال بعض الألفاظ الدالة على التوجيه بغرض النصح أو التوسل أو التهديد أو والوعيد... وغيرها، مثل : أوصيكم كذا، وأحثكم عل فعل ...وغيرها من ألفاظ المعجم التي يستخدمها المرسل في التداول للتأثير والتغير في حال المرسل إليه.

2 – 9 – التوجيه بذكر العواقب :

ذكر العواقب من الآليات المباشرة والصريحة التي يستخدمها المتكلم لتوجيه المتلقي للقيام بفعل ما، والسياق وحده من يكشف لنا أغراض هذه الآلية، إذ هي ((ليست حكرا على ميدان بعينه، أو مرسل خاص، بل هي ملك مشاع لمن يرى أنها تناسب السياق))[3]، مثل قول الأب لابنه: التدخين هو المسبب الرئيسي لمرض سرطان الرئة.

فهذا توجيه من الأب لابنه مفاده ترك التدخين والابتعاد عن تعاطيه.

---

[1] أحمد قاسم، محمد – ديب، محيي الدين، علوم البلاغة، ص 306.

[2] المبرّد، الكامل في اللغة والأدب، ج 4، ص78.

[3] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 362.

3 – الآليات اللغوية الاستراتيجية التلميحية:

قد يلجأ المرسل إلى بعض الملمحات أو الأدوات التلميحية في خطابه، وذلك بهدف شدَّ انتباه المرسل إليه إلى المقاصد التي يرمي إليها المرسل من خلال هذه الوسائل، وفي هذا المبحث سنحاول التطرق لأهم الوسائل اللغوية التلميحية التي تُستخدم في الخطاب الحجاجي بهدف التأثير والإقناع.

3 – 1 – ألفاظ الكنايات التلميحية: وهي بعض الأدوات التي يستعملها المرسل ليلمح لقصده للمرسل إليه ، ومن بينها:

3 –1 – 1 – كم الخبرية: التي يُعبَّرُ بها عَنِ الكثرة، نحو قول المتباهي يلمِّح أنَّ كرمه وسخائه بلغ الحد الكثير، فيقول: كم رجل أكرمت.

3 – 1 – 2 – التلميح بـ (كذا): يستعملها المتكلم تلميحا عن المقادير والإعمال نحو قول السيد يشيد بأحد غلمانه : هذا الغلام بكذا، المتكلم استعمل هذه الأداة ملحا لشيء يفهمه المتلقي حين سماع هذا الخطاب، وهو قيمة ومكانة هذا الغلام عند سيده.

3 – 1 – 3– التلميح بـ (حتى): نحو قول القائد لجنوده في الحرب: تراجعوا ليس لدينا أمل في النصر حتى قوينا ناله التعب، ففي هذا الخطاب تلميح للدرجة الدنيا في السلَّم التي يمثلها أقوياء الجند، فقصد أنَّ الجميع ناله التعب بما أنَّ أقوياء الجند قد تعبوا.

3 – 1 – 4 – استعمال (إنما) : مثل قول الوالد لابنه بعد سقوطه في الامتحانات: إنما ينجح الطالب المجتهد، ففي هذا الخطاب تلميح للمخاطب أنه ليس مجتهدا، مبينا أنَّ النجاح للمجتهدين فقط.

3 – 1 – 5 – استعمال (لو): ومثال ذلك قول مطرف يشيد بمعلقة عمر ابن كلثوم : ((بلغني عن عيس بن عمر، وأظن أني قد سمعته منه، أنه كان يقول: لو وضعت أشعار العرب في كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم في كفة لمالت بأكثرها)).[1]

[1] القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، دس، ص87.

في هذا الخطاب الذي يحمل جملة الشرط وجوابها، تلميح لتفوق معلقة عمر ابن كلثوم على جميع قصائد شعراء العرب باستعمال الأداة (لو).

3 – 2 – الأفعال اللغوية غير المباشرة : وهي تلك الأفعال اللغوية الغير مباشرة التي ((ينجزها المرسل باستعمال أفعال أخرى))[1]، فهو إذا أراد من خطابه ((خلاف ما يُفهم من ظاهر اللفظ وبلغ أكثر مما قال وسمع كان العمل اللغوي المتحقق غير مباشر))[2] أي أنَّ المرسل في هذا المجال يقوم بتوظيفه بعض الأفعال اللغوية التي يرمي من خلالها إلى معنى غير ظاهر في اللفظ؛ هي معاني ضمنية يفهمها المتلقي من خلال سياق الكلام (توظيف هذه الأفعال الغير مباشرة)، ويمكن تصنيفها حسب التصنيف الذي وضعه "سيرل" وهو كالتالي:

– الجمل التي تتعلق بقدرة المرسل إليه على إنجاز الفعل: وهي الجمل ((المبدوءة باشتقاقات الأفعال الدَّالة على القدرة أو الاستطاعة، بغض النظر عن موقع الفعل في الجملة))، مثل قولك لصديقك: هل تستطيع الكتابة ؟. يفهم المرسل إليه انك تقصد هل تساعدني في الكتابة.

- الجمل التي تتعلق برغبة المرسل أو أمنية في أن ينجز المرسل إليه فعلا ما، مثل قولك لأخيك: أخي سأكون شاكرا لك لو فعل لي هذا الأمر.
- الجمل التي تختص بتحديد أفعال المرسل إليه، قولك صه لمن لا يعجبك كلامه.
- الجمل التي تختص برغبات المرسل إليه وأمنياته لفعل ما: مثل قولك لمن تخاطبه: هل يناسبك زيارتي غدا.
- الجمل التي تتعلق بأسباب الأفعال، مثل وهي كثيرة منها :

يسعدني سكوتك، هلا سكت ....إلخ.

---

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 388 – 389.

[2] روبول، آن – موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د1، 2003م، ص 268.

3 – 3 – الملمحات :

وهو أن يستعمل المرسل في خطابه بعض الأدوات التي تساعده للتلميح على قصد معين، وهي ((تلك الأفعال المعجمية التي تدُّل على الافتراضات والتأكيدات والشكوك وغيرها ممَّا يراه المرسل، ...وهي أفعال : الرجحان مثل: ظنَّ، خال، زعم، حسب...إلخ))[1]، مثل:

- أظنَّ أنَّكم فزتم في المباراة، بدل القول علمت أنكم فزتم في المباراة.
- أعتقد أنني أدرك مصلحتك فقد حان وقت دراستك، بدلا من : راجع دروسك.

[1] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 396.

ثالثا – تقنيات الحجاج اللغوية:

لما كان هدف المرسل إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لدى المرسل إليه، فإنّ تحقيقه لهذا الهدف مرتبط كل الارتباط بتوظيف وسائل وتقنيات، تمثل في عملية الإرسال أدلَّة المتكلم لما يحمله من أفكار موجهة للمتلقي، وفي هذا المبحث سنحاول التطرق لأكثر التقنيات اللغوية تحقيقا للحجاج في الميادين التخاطبية.

1 – ألفاظ التعليل : من الأدوات اللغوية التي تخدم بنية الخطاب مضمونه في العملية الحجاجية توظيف ما يعرف بألفاظ التعليل، والتي ((يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجيّ، وبناء حججه فيه، ومنها: المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأنَّ..))[1]، أمثلة :

- المفعول لأجله نحو: حضرتُ إكراماً لك. يريد المرسل هنا أن يبين للمرسل إليه أن حضوره كان مقيّدا بأنه لأجل إكرامه.
- التعليل بـ (لأنَّ) نحو : قيل لحكيم : ((كان أبوك أجمل منك وأعقل وأفضل فقال: لأني كنت به ولم يكن بي فهو أولى بالكمال مني))[2]، فقد استعمل الرجل الحكيم الأداة (لأن) مبررا الاختلاف الحاصل بينه وبين أبيه.
- استعمال (كي الناصبة) نحو: قول "أبو حازم" : ((كل عمل تكره الموت لأجله فدعه كي لا تخاف منه متى أتاك))[3].....وغيرها من أدوات التعليل.

2 – الوصف : ويشمل :

2 –1 – الصفة (النعت) :تمثل الصفة أحد الأشكال الحجاجية التي يوظفها المتكلم نعتا لإقناع المتلقي، وذلك أنَّ النعت ((يرتبط بإرادة المتكلم إقناع مخاطبه، وتغيير الحكم الذي لديه، باللجوء إلى

---

[1] المرجع السابق، ص 478.

[2] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط2، 1420 هـ – 1999م، ج 1، ص 406.

[3] المرجع نفسه، ج 2، ص 513.

الوصف المذكور ليتحقق في ذهنه ويَعْلَقَ به))[1]، فيلجأ لها المتكلم إذا كان في مقام الحديث ما يستدعي ذلك نحو: قول "الفرزدق" يُعرّف بـ"زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب" ويصفه بعد أن أنكره "هشام بن عبد الملك" ليقنع الناس من حوله بحسن النسب والخلق:

((هَذَا الَّذِي تعرفُ الْبَطْحَاء وطأته ... وَالْبَيْت يعرفُهُ والحلُّ والحَرَمُ

هَذَا ابنُ خيرِ عبادِ الله كلِّهمُ ... هَذَا النقيّ التيُّ الطاهرُ الْعلم...

حمَّال أثقالِ أقوامٍ إذا قُدِحُوا ... حُلْو الشَّمَائِل تَحلو عِنْده نعم)).[2]

2 – 2 – اسم الفاعل : يعتبر اسم الفاعل من الآليات اللغوية التي يستخدمها المرسل في خطابه كحجة على أمر يريد إثباته أو إدحاضه، باعتباره وصف يصدره المُخاطِب ليقنع به الجمهور، فهو ((اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، حادث وعلى فاعله. فلا بد أن يشتمل على أمرين معًا؛ هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله))[3] نحو خطاب الأعرابي يدعو الله: ((اللهم إني أعوذ بك من سلطان جائر، ونديم فاجر، وصديق غادر، وغريم ماكر، وقريب ناكر، وشريك خائن، وحريف مائن، وولد جاف، وخادم هاف، وحاسد محافظ، وجار ملاحظ))[4]. فلقد وظف الأعرابي اسم الفاعل يصف الفئات التي أعاذ الله منها، فيقول : خائن، جائر، فاجر...إلخ.

2 – 3 – اسم المفعول: يصنف اسم المفعول على أنه من أدوات الوصف الحجاجية، فهو ((اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى. فلا بد أن يدل على الأمرين معًا، وهما: المعنى المجرد، وصاحبه الذي وقع عليه))[5]، ومن الأمثلة على ذلك قول أحدهم يشتكي:

- أنا مظلوم، فأنصفوني، فهو بهذا الوصف وضع نفسه في مرتبة تستدعي الإنصاف.

---

[1] بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر(دراسة تطبيقية)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر، ط 1، 2012م، ص99.

[2] الفرزدق، ديوان الفرزدق، تح: قاعور علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص 511 – 512.

[3] حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط15، دس، ج3، ص 278 .

[4] أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، الصداقة والصديق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998م، ص 263.

[5] حسن، عباس، النحو الوافي، ج 3، ص 271.

3 – تحصيل الحاصل : يمثل احد الصور الخطابية التي من شأنها أن تؤدي دور الإقناع في أقوى مراتبه، فاستخدام هذه الآلية له أبعاد حجاجية في الخطاب متنوعة بتنوع مقاصد المتكلم ومن ذلك جد قول المتنبي لسيف الدولة :

((يَا أَعْدلَ النَّاسِ إلاَّ في مُعَامَلتي ... فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ)).[1]

حيث يقول له : فيك خصامي، وأنت خصمي وحكمي، فأنا أخاصمك إلى نفسك، واستعدي عليك حكمك، فهو بهذا يكون قد ((جعل سيف الدولة ثلاثة ذوات في لحظة التلفظ نفسها فهو محل الخصام، والخصم والحكم، وفي هذا حجاج بأنه أضعف من أن يأخذ حقه منه، إذ ليس هناك في نظره، قاض محايد، أو قضية خارجية)).[2]

4 – الحجاج بالتبادل:

وبهذه الآلية من آليات الحجاج يحاول المرسل أن ((يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين،وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه))[3]، مثال :

- لا ترض لي إلا ما ترضاه لنفسك،

ففي هذا المثال دعوة المرسل للمتلقي إلى ترسيخ ما يحمله المتكلم بينهما بالتساوي، فاستعمال تقنية الحجاج بالتبادل لإقناع المرسل إليه بما يذهب إليه المرسل.

---

[1] ابن الإفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، شَرْح شِعْر المتَنبي (السفر الأول)، تح: عليَّان مُصْطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م، ج 2، ص 46.

[2] الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص 490.

[3] المرجع نفسه، ص 486.

5 – السلم الحجاجي والروابط الحجاجية :

5– 1 – السلم الحجاجي :

أن قوة الحجاج تكمن في تسلسل الحجج وترتيبها في الخطاب حسب ما يقتضي الحال أو ما تتطلبه العملية التخاطبية الحجاجية، وهذا ما يعرف بنظام السلم الحجاجي، إذ يعرفه "ديكرو" بأنه: ((فئة حجاجية موجهة))[1]، وهو يتسم بسمتين هي :

- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة للنتيجة.
- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى النتيجة (ن) فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، وبالتالي يصبح السلم عبارة عن ((مجموعة غير فارغة من الأقوال، مزودة بعلاقة ترتيبية))[2] يخضع لقوانين هي :

أ – قانون النفي : إذا كان القول (أ) مستخدما من قبل المتكلم ليخدم نتيجة، فإن القول في المجموعة المضادة (لا – أ) يكون حجة لصالح النتيجة المضادة[3]، مثال :

- (أ) زيد مجتهد، (ن) نجح في الامتحان.
- (لا – أ) زيد غير مجتهد، (لا — ن) لم ينجح في الامتحان.

ب – قانون القلب : مفاده ((إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة))[4]، وكي نوضح أكثر نمثل لها بالسلَّمين الحجاجيين:

نتيجة (ن)

حصل علي على الماجستير

وحتى الدكتوراه

النتيجة المضادة (لا — ن)

لم يحص علي على الدكتوراه

بل لم يحصل على الماجستير

---

[1] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 21.

[2] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص 22.

[4] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 22.

فحصول علي على الدكتوراه أقوى دليل في مكانته العلمية من حصوله على الماجستير، وبالمقابل عدم حصوله على الماجستير أقوى من نظيرتها.

ج – قانون الخفض : ومفاده هذا القانون أنه ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[1]، مثال :

- الجو ليس باردا . – لم يحظر من المدعوين للحفل إلا القليل، وهنا نستبعد احتمال أن الجو بارد فلم يحضر المدعوين للحفل، ثم يؤول القول كما في الجملتين :
- إذا كان الجو ليس باردا فهو دافئ أو حار. – لم يحضر إلا قليل من المدعوين للحفل.

6 – الروابط الحجاجية :

إن اللغة بوصفها وسيلة تواصلية ذات طبيعة حجاجية، تتضمن مجموعة من الأدوات والروابط الحجاجية التي تُكشف قيمتها وحقيقة استخدامها في الخطاب من خلال السياق، وقد وضع " ديكرو " مفهوما جديدا لهذه الروابط، في إطار نظرية الحجاج والتواصل التداولي، فهي في نظره أدوات ((تربط بين قولين، أو بين حجَّتين على الأصح (أو أكثر)، وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة))[2]، وتسهم هذه الروابط في فهم عمليات الخطاب، إذ ((تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية؛ ولا يمكن التأويل من دونها (في بعض الحالات على الأقل)...)).[3]

وهذه الروابط كثيرة الإستعمال في اللغة منها: حتى، لكن، بل، مع ذلك، لاسيما، إذن، لأنَّ، بما أنَّ، إذ، إذن، لهذا، أدوات العطف، وبالتالي...إلخ، وكي ندلل على قيمة هذه الروابط في إعطاء الخطاب الصبغة الحجاجية الأقوى نجد مثلا الأداة (حتى) : ((فليس دورها منحصرا في أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (حتى زيد جاء) معلومة أخرى (مجيء زيد غير متوقع)،

[1] عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.

[2] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 27.

[3] روبول، آن – موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ص 173.

بل إنَّ دور هذا الرابط يتمثل في إدراج حجة جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية)).[1]

[1] العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، ص 27.

الفصل التطبيقي

آليات الحجاج اللغوية في خطب الحجَّاج

- تمهيد

أولا: التعريف بصاحب الخطب

ثانيا: آليات التوجيه الحجاجي في خطب "الحجاج"

ثالثا: الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية والتلميحية

رابع: تقنيات الإقناع اللغوية في خطب "الحجاج":

خامسا: السلالم الحجاجية والروابط الحجاجية

توطئة:

تُمثل نظرية الحِجَاج أحد أهم القضايا التي تُعالج جُلَّ نقاط الكشف عن كل ما هو مصرَّح به في الخطاب أو غير مصرح به، إذ أصبحت هذه النظرية أكثر القضايا اللغوية في الدرس اللساني والتداولي اعتمادا في مجال التفاعل والتواصل بين البشر.

ولما كان المجال الأول والأهم للحِجَاج الخطابة شكل لنا التراث العربي – بما يحويه من كم هائل خصب في الفنون النثرية والخطابية – محور جذْب للتقصِّي والدراسة، فانصبَّ اختيارنا على ما قدَّمه "الحَجَّاج الثقفي" من خطب ومواعظ خلال فترته الولائية في الدولة الأموية، فالمضامين الخطابية التي أفرزت بها السيرة القيادية "الحجاج ابن يوسف" تكاد تعلو صرح الخطابة العربية لما تميزت به هذه الخطب من بيان وقوة في التأثير، لذلك رأينا أنه من الأنسب ربط هذه النصوص بصاحبها وما سايره من أوضاع مؤثرة ساهمت في ظهور هذا العمل النثري العظيم.

وسنحاول في هذا الفصل التطبيقي الكشف عن كل ما تحمله هذه الخطب من آليات ووسائل حجاجية لغوية، وذلك لتأكيد ترابط نظرية بالحجاج بالخطابة، ولنبين القيمة الكبيرة التي تحضا بها النصوص الخطابية العربية القديمة في مجال التواصل والتأثير والإقناع، وهذا ما سنوضحه أكثر من خلال معالجتنا لهذه الخطب.

أولا : التعريف بصاحب الخطب:

1 – حياة "الحجاج بن يوسف":

1 – 1– اسمه ونسبه:

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف، بن الحكم، بن عقيل، بن مسعود، بن عامر، ابن معتب، بن مالك، بن كعب، بن عمرو بن سعد، بن عوف، بن قسي (ثقيف)، وإليه تنسب القبيلة، كان والد الحجاج عظيما من عظماء القبيلة، ذو مكانة عالية، محبوبا لقومه، وأثَّر نسب الحجاج لأبيه كثيرا في شخصية الحجاج، لذلك فإننا نرى نفس الحجاج تواقة للعلو، طموحة للإمارة و القيادة.[1]

وأمه ((الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي))[2] رفيعة النسب ثرية من أثرياء ثقيف، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب إلا أنه طلقها، – ويقال أنَّها كانت زوجة المغيرة بن شعبة – ، فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي، وهو أبو "الحجاج".[3]

إن كل هذه المكانة التي حظيت بها عائلة "الحجاج" من نسب وشرف، ومع ما أوتي "الحجاج" من قدرات ريادية وعقلية وبلاغية، جعلت منه شخصا طموحا للرئاسة شغوفًا بالقيادة.

1 – 2 – مولده ونشأته:

يرجع أصل "الحجاج"إلى ثقيف، ((ولد بالطائف سنة 41 هـ، ويقال 42هـ))[4]، ونشأ بها، وهي مدينة تقع جنوب شرق مكة ، وهي المدينة الوحيدة التي جارت مكة قبل الإسلام ازدهارا لكونها محط القوافل التي تقصد مكة، وكانت لهجة أهل الطائف من أقوم لهجات الجزيرة العربية، ذلك لأنها على اتصال دائم ببدو هذيل أفصح قبيلة أشعرها قي الحجاز، وفي هذه البيئة نشأ الحجاج فكان لغويا دقيقا قي لغته فصيحا بليغا في خطاباته، وقد حفظ القرآن في كنف أبيه وأجداده.[5]

---

[1] يُنظر: أبو عبد الرحمن، جمال بن محمد، سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 2004م، ص 13- 15.

[2] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1900م، ج2، ص 29.

[3] يُنظر: المرجع نفسه، ص 29 – 30 .

[4] ذنون طه، عبد الواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط 2. 2005م، ص25.

[5] يُنظر: زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام الأزهر، مصر، ط1، 1995م، ص 33-34.

ولا توجد لدينا معلومات وافرة عن حياة الحجاج الأولى، وأيام طفولته وصباه، ولكن الروايات تشير إلى بعض المهن التي كان يمتهنها، فقد ذُكر بأنه كان دباغا وأنه كان فقيرا مقترا، استنادا إلى بعض أبيات شعر كان قد هُجيَ فيها "الحجاج"، ومن المؤرخين أيضا من يعد الحجاج بن يوسف من أشرف المعلمين وأفقههم، فقد كان الحجاج يُعلم كتاب الله، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهم من رأى بأنه لم يكن معلم صبيان، وإنما كان مساعدا لمعلم آخر كانت شخصيته القوية قد أخفت معها شخصية "الحجاج" مما اضطرَّه إلى البحث عن عمل آخر يليق به.[1]

1 – 3– بداية ظهوره:

كان أول ظهور له انضمامه في جيش حبيش بن دلجة القيني، وكان الجيش متجها لمحاربة "ابن الزبير"، شارك "الحجاج" في المعركة مع والده الذي كان يحمل بعض ألوية الجيش، وقد انتصر "ابن الزبير"، وانهزم الشاميون ونجا "الحجاج"، وبعد ذلك نراه يتدرج في المراتب حتى صار إلى ما صار إليه، وسر ذلك تقربه من "الخليفة" واستشارته في كل الأمور، فهو الذي أوصل الحجاج إلى القيادة والإمارة، حيث استعمل "الحجاج" في سبيل ذلك الحيل ما بين ترغيب وترهيب، فعندما خرج أمير المؤمنين في معسكر ولم يكن أحد يتخلف إلا أعوان روح – أحد قادة بني أمية – بن زنباع، فوقف عليهم "الحجاج" يوما وقد رحل الناس وهم على الطعام يأكلون، فقالوا له: انزل كل معنا، فقال لهم: هيهات قد ذهب ما هنالك، وأمر بهم فجُلدوا بالسياط وطوّفهم في المعسكر وأمر بإحراق خيمة روح نفسه، فشكا إلى الخليفة فلما حظر "الحجاج" قال: ما أنا فعلت و إنما أمير المؤمنين. إنما يدي يدك و سوطي سوطك، فأعجب "عبد الملك" به وزاد في منزلته عنده.[2]

إنَّ قدرت "الحجاج" على الإقناع بارزة، وذلك لما يملكه من ذكاء وحسن تخلص في مختلف المواقف، فقدرته العقلية واتساع معرفته باللغة ساعده على اللعب بالألفاظ إلى حدٍ يستثير العجب، كيف لا وهو من قال فيه الجاحظ: ((الحجاج... قائد، داهية، سفاك خطيب)).[3]

---

[1] يُنظر: ذنون طه، عبد الواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص من 28 إلى 31.

[2]. يُنظر، المرجع نفسه، ص 47-48.

[3] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1424 هـ - 2003م، ج 7، ص 448.

1 – 4– صفاته وتقويم شخصيته:

الحجاج بن يوسف الثقفي سياسي أموي وقائد عسكري من أعظم ولاة بني أمية و أشهرهم، وهو خطيب جرئ، ذو قسوة و جبروت، ويعد من الشخصيات المثيرة للجدل في التاريخ الإسلامي والعربي.

ويمكن أن نتبيَّن شخصية "الحجاج" من خلال ما قاله لـ"عبد الملك بن مروان" يصف له نفسه، قال: ((أنا لجوج حقود حسود))[1]، فهو كان ذو قسوة لذلك فليس من الغريب أنه عندما يُذكر اسم "الحجاج" ترتعب القلوب وتقشعّر الأبدان وتغيب الابتسامة فتتغير ملامح الوجوه، فهو كما وصفه بعض المؤرخين، ((أنه سفاك للدماء؛ ووصفوه بأنه أكبر لذة عنده أن يسوق الناس إلى المنايا، وخاض بالناس غمرات الحروب، وميادين القتال، ويقولون: إن الناس مغلوبون على أمرهم لا يخالفون له رأيا ولا يُرجعون له قولا)).[2]

ويُروى أيضا أنه كان ((شجاعا مهيبا، يُقوّم الشجاعة ويعفو عن الشجاع ويحسن إليه ولو كان عدوا له ومن الخارجين عليه))[3]، فهو يملك شجاعة نادرة مصحوبة بذكاء كبير استطاع من خلال هذه الصفات والخصال أن يلوي أعناق الفتن، وأن يتخطى جميع الأزمات.

ومن الصفات الأخرى التي ميزت الحجاج عن غيره رجاحة العقل، فهو كما قال فيه "عبد الرحمن بن حارث بن هشام" يشيد بذكائه ورجاحة عقله: ((ما رأيت عقول الناس إلا قريبًا بعضهم من بعض، إلا ما كان من الحجاج بن يوسف، و إياس بن معاوية، فإنّ عقولهما كانت ترجِحُ على عقول الناس كثيرا))[4]، فهو بذلك فاق أهل عصره في الذكاء.

وإضافةً إلى ذلك كان فصيحا بليغا يعتزّ بفصاحته وتجنبه للحن، وكان يتذاكر مع النحاة في ذلك، كما تميز بالجرأة والدهاء، والاهتمام بمظاهر السلطان، وكان فخورا بنفسه لا يحب أن يرى أحدا يتعالى أو يفتخر بنفسه أمامه، إضافة إلى ذلك أنه كان يبني أحكامه على الظن في بعض الأحيان،

---

1 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1418هـ – 1997م، ج 2، ص 12.

2. أبو عبد الرحمن، جمال بن محمد، سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه، ص 26.

3. ذنون طه، عبد الواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص 42 .

4. الجاحظ، البيان والتبيين، ص 100.

ومع ذلك فهو يعترف بخطئه عندما يتبين له بأن ظنه لم يكن صائبا، ومن صفاته أيضا أنه لم يكن يحرص على اقتناء الأموال فقد مات ولم يترك وراءه غير ثلاثمائة درهم وبعض الأمتعة الشخصية.[1]

1 – 5– قصة وفاة "الحجَّاج":

ذكر المؤرخون أنّ وفاة الحجاج كانت عقب مرضٍ ألمَّ به، حيث كان سبب موته بالأكِلَةِ في بطنه، فأوتيَ بطبيب فسوَّغهُ لحماً في خيْطٍ فخرج مملوءاً دوداً، كما وسُلِط عليه أيضاَ البَرْدُ، فكانت توقَدُ النَّار تحته وتدنىَ منه حتى تحرق ثيابه وهو لا يحس بها، فشكا حاله إلى الحسن البَصْري فقال له : ألم أكن نَهَيتُك أن تتعرض للصالحين فَتَمَادَيتَ، فقال: يا حسن، لا أسألك أن تسأل الله أن يُفرج عني ولكني أسألك أن تسأله أن يُعجل قبض روحي ولا يطيل عذابي.[2]

وقال بعضهم: ((رأيته وهو يأتي الجُمعة وقد كاد يهلكُ من العلة))[3] ، ((وأقام الحجاج على هذه الحال بهذه العلة خمسة عشر يوماً)).[4]

عن "الأصمعي" أنه قال: لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول:

يا ربُ قد حلف الأعداء واجتهدوا بأنني رجلٌ من ساكني النارِ

أيَحلِفونَ علـــــــى عمياءَ ويحَهمُ ما عِلْمُهم بعظيم العفوِ غفَّارِ

وأخبر بذلك "الحسن البصَري" فقال تالله إن نجا فبهما، ثم توفي بعدها وكانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان وقيل في شوال، سنه 95 هجري وهو ابن أربع وخمسين سنة وقيل ثلاث وخمسين سنة .[5]

---

[1]. يُنظر: ذنون طه، عبد الواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، ص 43-44-45

[2] يُنظر: ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، ص 381 .

[3] ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة – مصر، ط1، 1998م، ج 12. ص549.

[4] ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج1، ص 381.

[5] يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ص 550-551-552 .

2 – العوامل التي ساعدت في ظهور المضامين الخطابية عند الحجَّاج:

2 – 1 – العامل السياسي:

إن الدرجة الرفيعة التي وصلت إليها الخطابة في العصر الأموي من ازدهار ورقي وتعدد للمضامين، لم يكن بفضل العوامل الدينية، والثقافية، والاجتماعية فقط، بل يرجع الفضل الأكبر إلى ما أحدثته العوامل السياسية من مؤثرات ساعدت على ظهور هذا الفن بشكل مغاير لما هو عليه في العصور السابقة، فقد كثرت الأحزاب السياسية المعارضة لبني أمية، وأشهرها الحزب الزبيري، والخوارج، والشيعة، وكان ((كل حزب من الأحزاب السياسية يتخذ الخطابة وسيلة إلى نقد خصومه، وبيان نظريته السياسية، واستمالة الناس إليها))[1]، وذلك لكسر شوكة بني أمية والإطاحة بدولتهم، لذلك نجد في الصف الآخر ((خطباء بني أمية يدعون الناس إلى التمسك بحبل الجماعة، وتأييد الأمويين في حقوقهم التي اكتسبوها عن آبائهم، وتقديمهم لهم فروض الطاعة والولاء، وكثيرًا ما يخلطون ذلك بالترهيب والترغيب))[2].

إن كل هذا الظروف المحيطة بـ"الحجاج" جعلت منه ((الخطيب البارع الذي يرهب العدو بالكلمة والذي يقضي على الفتنة بموعظة))[3]، فقد كان يختار الألفاظ والعبارات بحسب المواقف السياسية التي يواجهها، فتلونت خطبه بألوان هذه الظروف وتأثرت بها، فكان خطيبا سياسيا بارعا، كان إذا خطب مهددا خرج كلامه يفيض حرارة وغيظًا وتقريعا وإيجاعا، وإذا ما خطب مهدئًا كان كلامه برد النفوس وشفاء الصدور، وهذا النوع من الخطابة لا يجيء وليد تكلف أو تصنع وإنما هو الوجدان المتقد ينساب على اللسان فيضًا خطابيا عندما يجيش في النفس أمرٌ من الأمور.[4]

---

[1] ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط 10، دس، ص 68.

[2] المرجع نفسه، ص 69.

[3] أبو عبد الرحمن، جمال بن محمد، سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه، ص 44.

[4]. زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص 381.

2 – 2 – العامل العقلي:

يمتلك "الحجاج" قدرات عقلية فائقة أفضت عنده أسلوبًا قويا ومؤثرا يستطيع من خلاله التأثير على من يخاطبهم وإقناعهم بما يقول، وإن أدى ذلك إلى قلب الحقائق، ولعلّ أكبر مثال لدينا خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير وكيفية تعامل "الحجاج" مع أهل مكة وردة فعلهم بعد مقتل قائدهم، ففي هذه الخطبة أراد "الحجاج" التأثير في نفوس أهل مكة، وقلب الأمر لصالحه، وذلك بإرجاع مقتل "ابن الزبير" للخطأ الذي قام به، وهو النزاع على الخلافة، وربط ذلك بقصة "آدم" عليه السلام حين أخرجه الله تعالى من الجنة، ليقنع أهل مكة بالمعصية التي ارتكبها "ابن الزبير" حسب رأيه، وهذا الأسلوب القوي يبرز لنا مدى قدرة "الحجاج" الخطابية وامتلاكه منطق الإقناع، في التعامل مع مثل هذه المواقف، فكان بذلك الخطيب الذي باستطاعته أن يُقنع السامعين ويحرك عواطفهم فيستميلهم لرأي الذي يدعو إليه بالحجج القوية والصريحة.

وممن يشيد بدهاء الحجاج وحسن تخلصه بالحجج، نجد "مالك بن دينار" يتحدث عن القدرات العقلية والخطابية التي يمتلكها "الحجاج" في التأثير في نفوس سامعيه وإقناعهم بما يحمل، فيقول: ((ربّما سمعت الحجّاج يذكر ما صنع فيه أهل العراق وما صنع بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخليصه للحجج))[1]، ويقول فيه "الحسن البصري" رحمه الله: ((يعظ عظة الأزارقة، ويبطش بطش الجبارين)).[2]

3 – العامل الديني:

"الحجاج" يتمتع بمهارات أدبية ولغوية غابت عن كثير من الخطباء في عصره، أعطته قدرة كبيرة في الخطابة والبيان والإبداع اللغوي والكلمي، وتلك القدرة الفائقة التي يمتلكها الحجاج، كان للقرآن الأثر الكبير في تنميتها وتطورها، فهو من حفظة القرآن ومن المتقنين لأحكامه، وهو يجد القرآن وسيلة لتدعيم خطاباته من اقتباسات وشواهد وغيرها، مما فتَّق فيه قوة الجدل والحجاج، لذلك نرى

[1] النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423 هـ – 2002م، ج 7، ص 244.

[2] ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه، ص 85.

معظم ((خطبه في الوعظ أشبه بكلام الخلفاء الراشدين ومذاهبهم في استخراج المعاني الحكيمة من الدين)).[1]

[1] زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، ص 382.

ثانيا : آليات التوجيه الحجاجي في خطب "الحجاج" :

1 – النداء : يعتمد المُرسِل في خطابه بعض الآليات اللغوية التي تُوظَّف تجسيدا لاستراتيجية التوجيه، ومن بين الآليات الأكثر فعالية وتأثيرا في التوجيه أسلوب النداء، وذلك كونه يستدعي إقبال الأذهان إلى ما يحمله صاحب الخطاب، وسنحاول الإحاطة بكل الصيغ الموظفة في خطب "الحجاج بن يوسف".

1 – 1 – النداء بحرف (الياء):

تجسد النداء بحرف (الياء) في خطب "الحجاج" ويظهر ذلك من خلال الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام))[1]، فقرأ السلام عليهم ولم يردوا، فيرد "الحجاج" قائلا: ((اسكت يا غلام))[2]، ويتهدد ثم ينادي غلامه يأمره بالقراءة قائلا :((اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام)).[3]

ففي هذا الخطاب استعمل صاحب الخطبة أسلوب النداء بالاعتماد على حرف (الياء) وذلك في صورة الأمر ليوجه المتلقي للقراءة، وهو رسالة لغير المنادى إذ يريد من خلاله تهديد أهل العراق.

المثال2: قوله: ((إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق)).[4]

استعمل "الحجاج" النداء بحرف (الياء) للفت نظر المخاطَب وجعْله يُقبل على ما سيلقيه ويوجهه لتسليم به، وهو أحقيته في الولاية وأنَّ أمير المؤمنين اختاره من بين الكثير من رجاله.

المثال 3: قوله: ((يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم...)).[5]

المثال 4: قوله: ((يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات...)).[6]

---

[1] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الأوائل، دار البشير، طنطا- مصر، ط 1، 1408 هـ – 1987م، ص 327.

[2] المرجع نفسه، ص 327.

[3] المرجع نفسه، ص 327.

[4] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، دط، 2011م، ص 29.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص 139.

استعمل صاحب الخطاب النداء بحرف (الياء) بغرض التنبيه، ليُحسِّس المتلقي بسوء الصورة التي هو عليها.

المثال 5: قوله: ((يا أهل العراق، هل شَغَبَ شاغبٌ، أو نَعَب ناعب، أو زَفَر زَافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟!)).[1]

وهنا يجسد استراتيجية التوجيه بدليل أنه استعمل النداء بحرف (الياء) للإقبال على ما يحمله الخطاب بعد النداء، فهو لا يريد أن يناديهم بمعنى النداء العادي، وإنما يريد التعجب من حالهم ومكرمهم.

المثال 6: قوله: ((يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر... يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[2]

استعمل "الحجاج" النداء بحرف (الياء) في هذا الخطاب بلون مغاير عما عهدنا في خطابه الموجه لأهل العراق، إذ يتبين لنا من خلال سياق كلامه أنه استعمل النداء للدلالة على التحفيز والتوجيه إلى ما هو معدٌّ لهم من عمل وجهاد في سبيل استمرار الدولة الأموية.

المثال 7: قوله:: ((يَا أهل الْعرَاق، تزعمونَ أنَّا من بَقِيَّة ثَمود... يَا أَعدَاء اللَّه مَا هَذَا الترامز؟)).[3]

استعمل النداء في مطلع خطابه للإقبال على ما سيأتي بعد النداء، وفي ختامه يناديه بغرض التهديد والوعيد.

المثال 8: قوله: ((يا أهل العراق، بلغني أنكم تروون عن نبيكم...)).[4]

وهنا استعمل النداء بغرض لفت النظر لما سيُبقيه عليهم من ردٍّ على ادعاءاتهم.

المثال 9: قوله: ((يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، ومساوئ الأخلاق...)).[5]

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص 139 .

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 140.

[3] النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2005 م، ص 647.

[4] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 304 – 305.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 137.

استعمل النداء مكرَّرا في خطابه هذا دليلا على وقوعهم في أمر مريع وهو التكبير الذي لا يريدون به إلا الفتنة، وبالتالي استعمل أسلوب النداء مكررا بغرض التهديد والوعيد.

المثال 10: قوله: ((يا أهل العراق إني لم أجد لكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث)).[1]

استعمل النداء هنا للتهديد والوعيد لإفزاعهم بالجزاء الذي يريده لهم ويعدهم به.

المثال 11: قوله: ((يَا أَهْلَ الْبَصْرَة إِنِّي أُرِيد الْخُرُوج إِلَى مكَّة وَقد استخلفتُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدًا)).[2]

استعمل النداء للدلالة على الإقبال على ما سيأتي بعده، وهو خروجه للحجّ وتولي ابنه عليم.

المثال 12: قوله: ((يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين)).[3]

استخدم النداء هنا بحرف (الياء) للإقبال والإغراء والتحفيز، وذلك لتوجيههم للقتال وعدم الخوف من بوادر الهزيمة.

1 – 2 – استعمال الأداة (أيّ): ويتجسَّد ذلك من خلال:

المثال 1: قوله: ((فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل)).[4]

استعمل النداء للدلالة على التنبيه إذ يحمل الخطاب بعد هذا النداء تهديدا ووعيدا بالنسبة للمتلقي.

المثال 2: قوله: ((أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيّكم صلّى الله عليه وسلم إلى نفسه)).[5]

استعمل صاحب الخطاب النداء بالأداة (أيّ) لافتتاح الخطاب بعد النداء لإقبال الناس على ما سيخبرهم به المتكلم، وهو وفات وليّهم، ثم يعود لأسلوب النداء في نفس خطابه قائلا: ((أيها الناس: إياكم والزّيغ ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله))[6]،وذلك بغرض التنبيه والنصح مما يحمله الخطاب بعد النداء، وهنا جاء بمعنى التلطف والقرُّب من المتلقي.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[2] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 165.

[4] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 266 – 267 .

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 209.

[6] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 209.

المثال 3: قوله: ((أيها الناس، لا يهولنّكم هذا؛ فإني أنا الحجاج ابن يوسف...))[1].

لجأ صاحب الخطاب للنداء في هذا الخطاب بالأداة (أيَّ) ليقرِّب مخاطبيه معنويا منه وليُشعرهم بالطمأنينة والأمان، وذلك بعد ما أظلتهم سحابة فخافها الناس.

المثال 4: قوله: ((أيها الناس إنكم أغراض حمام، وفرضة هلكة، قد أنذركم القرآن، وصفر برحيلكم الجديدان...))[2].

والمعنى من هذا التوظيف للأداة (أيَّ) في هذا الخطاب، إثارة الناس للإقبال على خطابه الذي يحمل التنبيه والنصح، لتوجيههم نحو الأفضل لهم في الدنيا والآخرة.

1 – 3 – النداء بحذف حرف النداء : ويتجسَّد ذلك في:

المثال 1: قوله: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي)).[3]

المثال 2: قوله: ((اللَّهُمَّ أَرِنِي الغي غياً فأجتنبَه، وَأَرِنِي الهُدي هدى فَأتبعهُ...)).[4]

استعمل صاحب الخطاب النداء هنا للدعاء والاستغاثة بالله، فـ"الحجاج" لا يريد النداء، وإنما طلب المغفرة والملك وبيان طريق الحق.

ما نلاحظه في هذا الجزء من الدراسة أنَّ أسلوب النداء كآلية توجيه، قد أدت الدور الحجاجي في خطب "الحجاج"، إذ عملت على توجيه المتلقي وإقباله نحو ما يريد صاحب الخطاب، فلاحظنا أنَّ الحجاج قد ركَّز على النداء بحرف (الياء) وذلك أنّ خطاباته معظمها كانت موجهة لأهل العراق، والياء كما هو معلوم تُستعمل للنداء البعيد، فاستعملها الحجاج ليبين مدى بعد المسافة بينه وبين أهل العراق تارة وبين الحق وأهل العراق تارة أخرى.

---

[1] المرجع السابق، ج 5، ص 165.

[2] التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تح وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1408هـ – 1988م، ج5، ص46.

[3] سورة ص، جزء من الآية:35.

[4] الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004م، ج5، ص 19.

2 – الأمر : إن الأمر كما ذكرنا سلفا من الآليات اللغوية التي قد تُستعمل في الخطاب بغرض حجاجي إقناعي عن طريق توجيه المخاطّب أمرا أو دعاءً أو تهديدا أو تخييرا... وسنحاول في هذا المطلب عرض هذه الآلية وكيف تجلت في خطابات "الحجاج بن يوسف الثقفي" مع توضيح الغرض الحجاجي منها في خطاباته وهي كالتالي:

2 – 1 – التهديد والتحذير: يستعمل الأمر تهديدا عادة عندما تكون للمرسل سلطة على المرسل إليه، فيكون التوجيه مرفوقا بتهديد، ونلمح ذلك في خطاب "الحجاج" الموجه لأهل البصرة من خلال:

المثال 1: قوله:: ((والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالا من الله)).[1]

فخطاب "الحجاج" هذا ليس فيه أمر صريح مباشر، وإنما يريد من خلال هذا الاستعمال تثبيت أمر كان قد ذكره قبله وهو طاعة الخليفة.

المثال 2: قوله: ((واسمعوا وأطيعوا. فهذه لعبد الله وخليفة الله...))[2].

المثال 3: قوله: ((ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)).[3]

استعمل صاحب الخطاب الأمر لتوجيه المخاطب للشيء الذي يريده، فتحقيق الفعل الموجه في نفس المخاطبين في بعض الحالات لا يكون ناجحا إلا إذا سبقه أو جاء بعده تهديد أو تحذير كما لاحظنا في المثالين، فاستعمال الأمر لتحقيق غرض تبليغي إقناعي يكون أنجع في التداول إذا مزج في سياق الكلام بتحذير.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج4، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ج4 ، ص 206.

[3] المرجع نفسه، ج4 ، ص 206- 207 .

المثال 4: قوله: ((اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام... اسكت يا غلام... اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام)).[1]

لقد استعمل "الحجاج" أسلوب الأمر هنا بغرض التهديد، فذكره أمير المؤمنين في خطابه الأمري يدعو المتلقي للرهبة والخوف، وأمر غلامه بالسكوت، والتهديد جراء عدم الإصغاء كلها مؤشرات تهديدية أدت المتلقي في النهاية للرضوخ والطاعة، فنجاح التوجيه الأمري هنا كان بفضل التهديد الذي تخلله هذا الخطاب.

2 – 2 – الحث والاستمرار بالفعل: ونجده من خلال الأمثلة:

المثال 1: قوله: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة، واسمعوا وأطيعوا فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان)).[2]

في هذا الخطاب توجيه صريح يريد من خلاله المرسل تحقيق فعل ما في نفس المرسل إليه وهو طاعة الله، حيث أرجع أن هذا الفعل لله إذ يُوصل إلى الثواب، ثم يليه توجيه مماثل حيث يقول، وهو أمرٌ بالسمع و الطاعة لولي الأمر، ليتبين لنا أنَّ التوجيه الذي سبقه ما هو إلا تمهيد للتوجيه التالي، وهو طاعة الخليفة، فهذا الترتيب التداولي في الأمر والتوجيه يعطي الخطاب قبولا لدى المخاطبين.

المثال 2: قوله: ((وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته؛ فاسمعوا له وأطيعوه)).[3]

وفي هذا الخطاب أمر صريح وحث بالسمع والطاعة للخلفية.

المثال 3: قوله: ((يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين)).[4]

استعمل الأمر هنا للدلالة على الحث، وهو حثٌّ صريح على القتال مرفوق بوعود متمثلة في هدايا الأمير لهم. وذلك بعدما أمسك الناس عن القتال فجأة عند ففزعهم من سحابة أظلتهم فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق.

---

[1] العسكري، الأوائل، ص 326 -327.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 206.

[3] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 209.

[4] المرجع نفسه، ج 5، ص 165.

2 – 3 – الدعاء: يكون الأمر بغرض الدعاء إذا كان المرسل في مرتبة أدنى من المرسل إليه، كدعاء البشر إلى الله تضرعا في طلب المغفرة والثواب، ونلمح ذلك عند "الحجاج" في الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((اللَّهُمَّ أَرِنِي الغي غياً فأجتنبَه، وَأَرِنِي الهُدي هدى فَأتبعهُ...)).[1]

المثال 2: قوله: ((وأستغفر الله لي ولكم)).[2]

فغرض هذا الأمر الدعاء لا غير، لأن الخطاب كان من الأدنى إلى الأعلى، ووضْع المرسل هنا كان وضْع الذليل الراضخ الباحث عن سبيل النجاة خوفا من المرسل إليه وهو الله.

المثال 3: قوله: ((والله أسأل حسن العون عليكم!)) ،[3]

استعمل صاحب الخطاب الدعاء تداوليا لإبراز قيمة الجمهور (أهل البصرة) وثقلهم في نفس المُخاطِب (الحجاج).

2 – 4 – التخيير والتهديد: وذلك من خلال الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((ولله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده)).[4]

هنا استعمل "الحجاج" آلية الأمر تداوليا ليوجه "أهل العرق" لشيء كان قد انعدم في أكثرهم؛ وهو الاستقامة والطاعة، وقد استُخدمت هذه الآلية بغرض التخيير في قالب تهديدي، أي إما الاستقامة أو التعذيب.

3– النهي : لا يختلف النهي عن الأمر كثيرا، فكلاهما توجيه يُستعمل تداوليا لغرض تبليغي وحجاجي، فإذا كان الأمر يكون بقضاء فعل الآمر، فالنهي فحواه الترك، وفي هذا المطلب سنحاول جمع كل حالات النهي التي استعملت في خطب " الحجاج" مبينين غرضها وقيمتها التداولية في الخطاب عبر أساليب هي:

---

[1] الآبي، نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 19 .

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 206- 207.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص 207.

[4] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29.

3 – 1 – النهي بحرف بـ(لا) : ومن الأمثلة المجسدة لهذه الآلية:

المثال 1: قوله: ((أما والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلف إلا فريت[1]...)).[2]

استعمل الحجاج النهي بهذه الصيغة ليحقق الغرض الإقناعي عن طريق التهديد الذي يحمله سياق الكلام، وبذلك يكون قد ألزم المخاطبين على الطاعة له.

المثال 2: قوله: ((أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم، أَلا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ بعدِي كلمة لَيْسَ يَمْنعكم من إظهارها إِلَّا الْخَوْف، أَلا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ: لَا أحسن الله لَهُ الصَّحَابَة، إِنِّي معجلٌ لَكُم الْجَواب: لَا أحسن اللَّه عَلَيْكُم الْخَلَافَة))،[3] وذلك حين أراد الخروج من البصرة إلى مكة فكان هذا الخطاب وصيته لأهل البصرة.

إنَّ هذا التوظيف المتكرر للنهي في الخطاب – وإن بدا فيه الدعاء إلا أنَّ سياق الكلام يبين أنه خطاب تبليغي يحمل معنى التهديد– من شأنه أن يُلزم المتلقي بالتسليم بما يريده المتكلم.

المثال 3: قوله: ((وَلَا تكلْني إِلَى نفْسي فأضل ضلالا بَعيدا...)).[4]

وهو خطاب موجه لله عزَّ وجل يحمل معنى الدعاء والتضرع، فالمرسل في هذا الخطاب أقل درجة من المرسل إليه، فيستعمل التوجيه بغرض الدعاء لاستعطاف المُخَاطَبْ.

4 – الاستفهام : يُستعمل الاستفهام كأداة توجيه في الخطاب بشتى أنواعه، والتي تُعرف من خلال سياق الاستفهام، وقد بين علماء المعاني أدوات كثيرة للاستفهام منها: الهمزة، وهل، وما، وكم، ومَنْ، ومتى، وكيف، وأين، وغيرها، وفي هذه الدراسة سيحاول البحث التطرق لجميع أنواع الاستفهام في خطب "الحجاج" مبيننا دورها التداولي الحجاجي في الخطاب.

يلجأ المُخَاطِب في خطابه للاستفهام لتحقيق استجابة من قبل المتلقي وذلك بالتهديد أو التوبيخ أو الأمر...، ولقد استعمل "الحجاج" هذه التقنية وذلك من خلال الأمثلة التالية:

---

[1] فَرَيْتُ : مَعْنَاهُ أَن تقدر الشَّيْء وتعالجه وتصلحه مثل النَّعْل تحذوها أَو النِطَع أَو القِربة، يُنظر: الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن، ط1، 1964م، ج 2. ص 57.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29 .

[3] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[4] الآبي، نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 19 .

المثال 1: قوله: ((يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟ هذا أدب ابن أبيه؟؟)).[1]

فهنا لم يستخدم المرسل أداة استفهامية وإنما يُفهم من سياق الكلام أنه يَستفهم ويوبخ في نفس الوقت، واستخدمه تداوليا بهذه الصيغة ليوجه المتلقي لفعل شيء يريده المرسل، وهو رد السلام.

المثال 2: قوله: ((فكيف تنفعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان؟.. ألستم أصحابي بالأهواز[2] ؟..)).[3]

استعمل صاحب الخطاب الأداة (كيف والهمزة) في هذا الخطاب ليوقع شيئا في نفس المتلقي (أهل العراق) وهو الندم، إذا لا ينتظر جوابا لسؤاله وإنما ليبين لهم مكرهم وتخاذلهم.

المثال 3: قوله: ((يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم، ؟!)).[4]

استعمل "الحجاج" الاستفهام بالأداة (ما) هنا ليبين قيمة هذه واقعة دير الجماجم في نفوس المخاطبين، وليوجههم مستقبلا لفعل ما يريده وهو عدم التخاذل والبعد عن المكر والخداع.

المثال 4: قوله: ((هل استخفَّكم ناكثٌ، أو استغواكم غاوٍ... إلا تبعتموه وآويْتموه، ونصرتموه ورَجَبْتُموه... هل شَغَبَ شاغبٌ، أو نَعَب ناعب...إلا كنتم أتباعه وأنصاره)).[5]

لجأ "الحجاج" للاستفهام كأداة تُستخدم في التداول ليثبِّت في "أهل العراق" فعل المكر والتخاذل والخداع، وذلك من خلال استخدامه الأداة (هل).

المثال 5: قوله: ((يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟!)).[6]

وهنا وظف الأداة (ألم) في خطابه توبيخا لـ"أهل العراق" ليوجههم لفعل الطاعة ويمحو فيهم حب المكر والخداع.

---

[1] العسكري، الأوائل، ص 326 -327.

[2] الأهواز: مدينة متصلة بالجبل، فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي خوزستان وهي رام هرمز، ذات نعم وفيرة وشكل حسن، لكنها جحيما في الصيف لحرِّها، وجمعت مع ذلك كثرة الأفاعي في جبلها المطل عليها وكثرة العقارب، أهلها ألأم الناس وأفسدهم خلقا، لذلك يقال: من أقام بها حولا كاملا ثمَّ تفقد عقله وجد فيه نقصا، يُنظر: الحِميرى، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط 2، 1980م، ص 61 – 62.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

[4] المرجع نفسه، ج 2، ص 139.

[5] المرجع نفسه، ج2، ص 139.

[6] المرجع نفسه، ج2، ص 140.

المثال 6: قوله: ((يَا أَعدَاء اللَّه مَا هَذَا الترامز؟)).[1]

لقد استعمل المُخاطِب الأداة (ما) ليوجه جمهوره لفعل أمر، وهو الطاعة والكف عن فعل أمر لا يروق للمخَاطِب في تلك الحالة وهو ترامزهم أمامه.

المثال 7: قوله: ((وهل يرجو الحجّاج الخير إلا بعد الموت ؟! والله ما يسرّني ألّا أموت وأنّ لي الدنيا وما فيها!... فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل!...)).[2]

وهنا يتبين لنا أنَّ المرسل في هذا السياق الاستفهامي أنّه لا ينتظر جوابا من المرسل إليه وإنما استخدم الاستفهام ليبين لهم أن التخليد لم يرضه الله إلاَّ لأهون خلقه – إبليس- وأنّه لا يخشى المنية، وبذلك يكون قد ألجم أفواه من قالوا عليه انه مات.

المثال 8: قوله: ((مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم؟، وتضيّعون ما به أُمرتم...)).[3]

استعمل المتكلم صاحب الخطاب الأداة (ما) استفهاما ليشير للمتلقين الوضع الدنيء الذي هم عليه، وهو استفهام فيه نوع من عدم الرضا، والتحقير والهدف منه توجيه مخاطَبيه إلى العمل لتحسين الصورة التي هم فيها.

المثال 9: قوله: ((فماذا عبأتم للرحيل؟ وماذا أعددتم للنزول؟)).[4]

استعمل صاحب الخطاب الأداة (ماذا) في سياق الاستفهام لتوجيه جمهور الناس إلى النظر في أوضاعهم الدنيوية، وهل أعدوا العدة للقاء ربهم؟، وهو خطاب يحمل معنى التخويف والتهويل إذ يلجأ المُخاطِب للاستفهام بهذا الغرض للتغيير في سلوك الغير والتأثير فيه وتوجيهه لفعلٍ ما.

لقد وظف صاحب الخطاب آلية الاستفهام بمختلف أدواتها وفي سياقات متعددة، استخدمها تداوليا لتوجيه المتلقي نحو فعل الشيء المطلوب أو المتوقع، فكان الطاغي الأكبر في هذا المقام هو معنى التهديد.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 266.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 206.

[4] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

5 – التحذير : إن من الآليات الأكثر تأثيرا في عملية الإقناع تلك التي تدعو الجمهور أو المخاطَب إلى الارتياح لمُخاطِبه وتصديقه، وبالتالي قبول أفكاره بأي شكل من الأشكال، ويمثل التحذير أسمى هذه الآليات باعتباره وسيلة للنصح وتنبيها المتلقي لتجنب أمر مكروه، وقد ورد في خطاب الحجاج التنبيه بصور مختلفة سنحاول عرضا بالتدرج مع خطبه.

5 – 1 – التحذير بذكر لفظ التحذير: ويتجسَّد ذلك في:

المثال 1: قوله: ((ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)).[1]

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال التحذير بذكر لفظ التحذير (حذر)، وهو أقوى تأثيرا في عملية التوجيه والتأثير في الغير من باقي صور التحذير الأخرى، إذ استعمله لتوجيه المخَاطَبين إلى الطاعة والعمل الحسن.

المثال 2: قوله: ((قد أنذركم القرآن وصفر برحيلكم الجديدان)).[2]

استعمل التحذير بذكر لفظة (أنذركم) ليبيّن لـ"أهل العراق" إلى أنَّ الله قد حذرهم من قبل في كتابه، وهو توجيه للاستقامة وطاعة الله وبالتالي طاعة ولي أمرهم وهو هدف "الحجاج" من خطابه.

المثال 3: قوله: ((ومن لم يأخذ أهبة الحذر، نزل به سوء القدر)).[3]

إنَّ هذا الخطاب يبين مدى ذكاء صاحبه وقوة بديهته، إذ ختم بتحذير هو عاقبة وجزاء الشيء المحذَّر منه سلفا، مما يزيد خطابه قوة تأثيرية في التوجيه نحو ما يريده من خطابه.

5 – 2 – باستعمال الأداة (إي) بصورها : ويتجلى ذلك في الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((وإياي وهذه الزرافات والجماعات، وقال وقيل، وما يقولون وفيم أنتم...)).[4]

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 207.

[2] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

[3] المرجع نفسه، ج 5، ص 46.

[4] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29.

في هذا المثال استُعمل التحذير بأداة (إي)، وهو تحذير صريح أنذر به "الحجاج" نفسه من خطورة تجمعات أهل العراق، مفاده توجيه المخاطّب عن طريق التهديد لاجتناب هذه التجمعات التي تثير الفتن.

المثال 2: قوله: ((أيها الناس؛ إياكم والزّيغ ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله)).[1]

في هذا الخطاب تحذير باستعمال الأداة (إيَّ) من الزيغ، ويقصد بالزيغ في هذا السياق الميل إلى لأهل الباطل الخارجين عن وليهم، وهو أسلوب استخدمه "الحجاج" لتوجيه الناس إلى الطاعة من باب التحذير.

المثال 3: قوله: ((فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه...)).[2]

يذهب صاحب الخطاب باستخدام التحذير في التأثير في المتلقي إلى أبعد صور الإقناع، وذلك عندما جعل نفسه في مرتبة المُخَاطَبين فيحذر نفسه ويحذرهم، مما يضفي على خطابه الجدِّية والمصداقية في نفس المتلقي وبالتالي توجيههم للأمر الذي يريده.

ما نلاحظه في هذا المبحث أنَّ التوجيه باستعمال أسلوب التحذير في خطابات "الحجاج" قد حظر في صورتين اثنين، وذلك إما بذكر لفظ التحذير وهو الصورة الأقوى في التأثير أو التوجيه باستعمال أداة التحذير (إي) لملائمتها مقام الخطاب.

6 – الإغراء : إذا كان في التحذير التوجيه يكون عن طريق نصح المُخاطَب وإبعاده من الشيء المحذر منه، فإنَّ التوجيه في أسلوب الإغراء يكون بتقريب وحث المُخاطَب نحو أمر محمود ليفعله، وسنحاول في هذا المطلب التطرق لهذه الآلية دراسة في خطب الحجاج.

6 – 1 – الإغراء المفرد : ويظهر لنا جليا في الأمثلة التالية

المثال 1: قوله:: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة)).[3]

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 206.

[3] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 209.

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال أسلوب الإغراء بذكر المغري مفردا غير مكرَّرا ، والقصد من خطابه هذا: الزموا طاعة الله لأن فيها ثواب منه تبارك وتعالى، وهذا توجيه صريح لطاعة الله بالخوف منه وقيام حدوده.

نلاحظ أنَّ "الحجاج" في خطبه لم يستنجد بالإغراء كثيرا لتوجيه مخاطبيه والتأثير فيهم، إذ قلَّ وروده وذلك ربما لأن وضع المتلقي يستلزم شيئا من التهديد والوعيد فلم تكن هناك حاجة لاستخدام هذه الآلية كوسيلة توجيه حجاجية.

7 – التوجيه بألفاظ المعجم : من الآليات المجسدة لاستراتيجية التوجيه في العملية التخاطبية استعمال ما يُعرف بالألفاظ الدالة على التوجيه بغرض النصح أو التوسل أو التهديد أو والوعيد وغيرها، وسنحاول عرض الآليات التي استخدمها "الحجاج" دلالة على التوجيه، ذلك من خلال الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((وَقد استخلفتُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ابْني وأوصيته فِيكُم بِخِلَاف مَا أوصى بِهِ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَنْصَار... أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم)).[1]

استعمل صاحب الخطاب في خطابه لفظ الوصية دلالة على التوجيه، إذ نفهم من خلال سياق كلامه أنه وجَّه ابنه عن طريق الوصية بأن يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم، وهي رسالة غير مباشرة لأهل البصرة مفاده توجيههم أيضا نحو الاستقامة والطاعة للذي استخلفه عليهم.

المثال 2: قوله: ((وإن لكم أجلاً لا تُؤخر ساعته، ولا تُدفع مقدمته، وكأن قد دلفت إليكم نازلته فنعق بكم، وحثكم حث مستقصى)).[2]

استعمل "الحجاج" لفظ الحثّ بلسان القرآن دلالة على توجيه المخاطَب، وهو من باب التذكير والإنذار ليوجههم للعمل الصالح والتوبة إلى الله.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[2] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

ما نلاحظه في عرضنا لهذه الآلية أنَّ "الحجاج" لم يستعن بألفاظ التوجيه بكثرة في خطابه لتوجيه مخاطَبيه، وذلك ربما لأن يعتم أسلوب المباشرة والتهديد وعدم إعطاء المتلقي في فرصة الخيار في جل خطاباته لذلك فندر استعمال هذه الآليات.

9 – التوجيه بذكر العواقب : ذكر العواقب الشيء الغير مرغوب فيه بالنسبة لصاحب الخطاب له دور كبير في توجيه من يخاطبه نحو تجنب هذا الشيء والابتعاد عنه، فاستعمال هذه التقنية تداوليا في الخطاب يعطيه صورة حجاجية من شأنها التغير في سلوك المتلقي، وسنحاول في هذا الجزء ذكر ما أفاضت به خطب الحجاج في هذا المجال.

المثال 1: قوله: ((والله لئن بقيت لكم لاؤدبنكم أدبا سوى أدب ابن أبيه، ولتستقيمن لي أو لاجعلن لكل امرئ منكم في جسده وفى نفسه شغلا)).[1]

يشير صاحب الخطاب إشارة صريحة إلى أنَّ عاقبة الزيغ والباطل وعدم الاستقامة هو التعذيب، وهو تهديد صريح مفاده توجيه من يخاطب للاستقامة والطاعة، كما أنه ذكرهم بجزائه لـ"زياد ابن أبيه" مما يساهم في قوة الإقناع بهذه الآلية.

المثال 2: قوله: ((والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذَّوه بنعله وأجزيه بمثله، واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. وإني لصاحبها، وإني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق)).[2]

وهنا إشارة واضحة بذكر عاقبة من خالفه وخرج عن طريقه.

المثال 3: قوله: ((فإنه قد طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغي، وأيم الله لألحونكم لحو العصا. ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل...)).[3]

ذكر صاحب الخطاب عاقبة الفتن واتباع طرق الغي، ليوجّه مخاطَبيه للكف عن هذه الأفعال والبعد عنها عن طريق التهديد.

---

[1] العسكري، الأوائل، ص 326 -327.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 28.

[3] المرجع نفسه، ص 29.

المثال 4: قوله: ((والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده)).[1]

ذكر صاحب الخطاب عاقبة الانحراف عن الحق وهي الجزاء والعقاب الذي يعدهم به، وذلك لتوجيه مُخَاطَبيه للاستقامة، فكان هذا التوجيه مقرونا بالقسم وجعله في شكل مادي محسوس مما يؤثر في المتلقي وإقناعه.

المثال 5: قوله: ((أيها الناس؛ إياكم والزّيغ ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله)).[2]

يشير المتكلم إلى أنَّ عاقبة الزيغ هي الإحاقة بمن يسير في طريقه (أي طريق الزيغ)، فهو بذلك يوجه المتلقي للبعد عنه والالتزام بما يأمرون وعدم الميل لأي طريق غير طريق الحق.

المثال 6: قوله: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة)).[3]

هنا ذكر صاحب الخطاب العاقبة الحسنة للتقوى، إذ فيها ثواب من الله تعالى، وهو توجيه صريح للمخاطب نحو تقوى الله وطاعته.

المثال 7: قوله: ((ألا وإن الخير كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرّ كلّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره)).[4]

لقد بيَّن صاحب الخطاب أنَّ عاقبة الخير الجنة؛ إذ أن من يعمل خيرا يحصد خيرا، وبيَّن أنَّ عاقبة الشر النار؛ لأن من يعمل شرا لا يحصد إلَّا شرًّا، فمن خلال سياق حديثه يفهم المتلقي أنَّ المتكلم صاحب الخطاب يوجهه نحو الخير ويبعه عن فعل الشرّ، إضافة إلى انه اقتباس واضح من القرآن الكريم أعطى خطابه الصورة الحجاجية المضاعفة إضافة إلى هذه الآلية.

المثال 8: قوله: ((قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين)).[5]

ذكر صاحب الخطاب عاقبة القتال والجهاد لصالح التي هي أعطيات أمير المؤمنين، وهو بذلك يكون توجيه صريح منه لأهل الشام للقتال وعدم التراجع.

---

[1] المرجع السابق، ص 29.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 209.

[3] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 206.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص 207.

[5] المرجع نفسه ، ج 5، ص 165.

المثال 9: قوله: ((ومن لم يأخذ أهبة الحذر، نزل به سوء القدر)).[1]

في هذا المثال توجيه صريح بذكر العاقبة – سوء القدر – للمخاطب كي يكون حذرا مستعدا للقاء ربه يوم الحساب.

لقد وظَّف "الحجاج" آلية ذكر العواقب بعدد كبير وبسياقات مختلفة، وهذا التوظيف الكثير لما يأتي عبثا وإنما وضع المتلقي ودرجته بالنسبة للمخاطب تفترض شيئا من التهديد والوعيد، فكان استنجاده بذكر العواقب مهددا أهل الزيغ يتوعدهم بسوء العاقبة فيه توجيه لطاعته والسير في الطريق المرسوم إليهم.

[1] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

ثالثا: الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية والتلميحية:

1 – الوسائل اللغوية التضمنية في خطب الحجاج:

يحتاج المرسل في خطابه التضامني الموجه للمرسل إليه إلى مجموعة من الوسائل التي يمكن أن تكسر كل حاجز التفاوت بين المتكلمين، لتجعله من درجة أكثر قربا ممن يُخاطِبهم، وبالتالي يكون التأثير فيهم أكثر فعالية، وفي هذا الجزء سنحاول عرض ما أمكن من الوسائل والآليات التضامنية في خطب "الحجاج"، ولأنَّ جلَّ خُطبه يتخللها التهديد والوعيد ستكتفي بتلك التي حاول فيها التلطف والتقرُّب من مُخاطبيه أو ما حملته خطاباته من دعاء لله وغيرها من آليات يمكن أن تجسد استراتيجية التضامن.

1 – 1 – العلم: ويتجسد ذلك في:

المثال 1: قوله: ((يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر، ويُباعد عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب. يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)) .[1]

استعمل "الحجاج " في هذا الخطاب الكنية، فلقد كرّر ندائه: يا "أهل الشام" مرّتين في خطابه، وهذا التوظيف لم يكن إلَّا تضامنا مع من يُخاطِبهم، فهو قد كسر بهذا الاستخدام تداوليا الحاجز الرتبي بينه كممثّل سلطة، وبين مُخاطَبيه كرعية، وذلك ليبين لهم أنه قريب منهم قرب الخليل لخليله، فهو مصدر حماية بالنسبة لهم، وهم مصدر قوة بالنسبة له.

المثال 2 : قوله: ((أيها الناس، لا يهولنّكم هذا؛ فإني أنا "الحجاج بن يوسف" وقد أصحرت لربي)).[2]

نلاحظ في هذا المثال توظيف الاسم الأول والكنية في نفس الوقت من قبل صاحب الخطاب، ومع ذلك يمكن أنّ يكون قصده فرض سلطة أو تضامنا، مما يبين لنا أن هذا الخطاب يحمل لونين حجاجيين في هذا الإطار، الأول يكون بهدف التضامن؛ وذلك تضامنا مع "أهل الشام" حين أفزعتهم تلك السحابة فأراد أن يبين أنه معهم، والثاني فحواه ممارسة سلطة ما؛ وذلك ليُبيِّن للمتلقي

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 140 .

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 165.

أنه الآمر الناهي وهو من يقرِّر الرجوع عن الحرب، وذلك لأنهم لم يريدوا قتال "أهل مكة"، ولكن إن كان قصد المتكلم فرض سلطة هنا فيكون قد خرج من ميدان التضامن.

المثال 3: قوله: ((يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين)).[1]

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال الكنية (أهل الشام) تضامنا مع من يخاطِبهم، وفيه كان يحثُّهم للحرب ويعدهم بهدايا أمير المؤمنين، فهذا الاستعمال رغم أنه في أتى في سياق كلام تضامني إلا انه يحمل شيئا من المراوغة والخبث، وذلك ليوجِّه "أهل الشام" لمقاتلة "أهل مكة".

1 – 2 : ألفاظ المعجم: ويتجسد ذلك من خلال:

المثال 1: قوله: ((إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر، ويُباعد عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب)).[2]

استعمل "الحجَّاج" في هذا الخطاب ألفاظا أدت دور ألفاظ القرابة والألقاب والكنية، وذلك من خلال هذه الألفاظ: (ينفي، يُباعد، يكنُّ، يحمي، يحرس)، وهذا التوظيف دلالة على التضامن، ووسيلة لغوية أراد من خلالها "الحجاج" التقرُّب من "أهل الشام"، ليبيِّن موالاته لهم ودفاعه عنهم، فهذا الخطاب التشبيهي الجميل الذي يطرب النفس، من شأنه التغيّر في سلوك الغير والتأثير فيه، ف"الحجاج" بهذا الخطاب التضامني يكون قد كسب ثقة "أهل الشام" وضمن موالاتهم له.

1 – 3 : الإشاريات: استعمل "الحجاج" هذه الآلية بعدد معتبر في خطابته ولكن معظمها كان بغرض تهديدي لا تضامني، وما يحمل التضامن يتجسَّد في:

المثال 1: قوله: ((يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[3]

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال الضمير (أنتم) حتى يوصل اهتمامه للمُخاطَب، فيلحظ المُخاطَب أنه محل اهتمام من قبل صاحب الخطاب، وهذا ما يُعطي خطابه الصدق ويدلُّ تداوليا على تضامن المرسل مع المرسل إليه.

---

[1] المرجع السابق، ج 5، ص 165.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 140 .

[3] المرجع نفسه، ص 140 .

المثال 2: قوله: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة. ثم قال: واسمعوا وأطيعوا فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان)).[1]

استعمل " الحجاج" في هذا الخطاب اسم الإشارة (هذه) مُجسدا استراتيجية التضامن، من خلال إشارته لقرب الشيء الذي يريد لفت انتباه المخَاطَب إليه، وهي التقوى لله، والسمع والطاعة لأمير المؤمنين، فلقد استعمل اسم الإشارة (هذه) تداوليا للدلالة على القريب، وذلك ليبيِّن للمُخاطب قربه من هذه الصفات، رغم أنه يعلم أنه أمر بعيد المنال خاصة أنه يُخاطب "أهل العراق".

المثال 3: قوله: ((أيها الناس، لا يهولنّكم هذا)).[2]

استعمل "الحجاج" في هذا الخطاب اسم الإشارة (هذا) للدلالة على شيء معين والإشارة إليه إشارة معنوية، وهو تلك السحابة التي أفزعت وأرعبت الناس، وبالتالي فهو يحسِّس الناس مُتضامنا معهم أنه أمر بسيط واعتيادي.

المثال 4: قوله: ((وَالله مَا أحب أَن مَا مضى من الدُّنْيَا بعمامتي هَذِه)).[3]

استعمل "الحجاج" اسم الإشارة (هذه) للدلالة على شيء معين والإشارة إليه إشارة حسيَّة، وهي عمامته، وهذا الخطاب كان في سياق الدعاء، مما يُبين أنَّ المرسل في هذه الحالة أقل درجة من المرسل إليه، فهذا الخطاب موجه لله عزَّ وجل.

2 – الآليات اللغوية التلميحية في خطب الحجاج:

إن استخدام بعض الوسائل والأدوات في الخطاب بقصد التلميح والإشارة لشيء من مقاصد لمتكلم يجعل من الخطاب مادة حجاجية من شأنها التأثير في المتلقي عن طريق استمالته لما يلَمِّح له صاحب الخطاب، وسنحاول في هذا المبحث عرض بعض الوسائل والآليات اللغوية التلميحية الموجودة في خطب "الحجاج الثقفي".

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ج 5، ص 165.

[3] الآبي، نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 19.

2 – 1 – ألفاظ الكنايات التلميحية :

2 – 1 – 1 – استعمال (لو) : ويظهر استخدام (لو) من خلال الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله: ((ولو علمت أنّ أحدا أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتكم)).[1]

وظَّف صاحب الخطاب الأداة (لو) في خطابه ليلمِّح للمتلقي (أهل العراق) أنه أقوى قائد في ولاة بني أمية، وأنهم أكثر الولايات شرًّا من غيرهم، لذلك ولَّاه الخليفة عليهم ورماه بهم.

المثال 2: قوله: ((والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالا من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا... والله لو أدركته لقتلته)).[2]

استعمل صاحب الخطاب الأداة (لو) في صورة الشرط وجوابه لإخبار المتلقي أنّ الخروج عن أمره جزائه القتل، وهو تهديد صريح من قبل صاحب الخطاب لجمهوره.

المثال 3: قوله: ((فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها...)).[3]

استعمل "الحجاج" الشرط بالأداة (لو) ليُبين عن طريق التلميح أنَّ خروجهم لمقاتلة "ابن الزبير" ليس بالأمر العظيم أو الخطأ، إذ لو كان خطأً لحال الله بينهم وبينه، وهو بهذا الاستعمال ينزع من قلوبهم التردد بعد ما أحاط بهم الخوف من تلك السحابة.

المثال 4: قوله: ((ولو كان شيء مانعا للعُصاة لمَنَع آدم حرمة الجنة)).[4]

ويقصد صاحب الخطاب بكلامه أنه لا يُوجد أحد معصوم من الخطأ حتى وإن كان "ابن الزبير"، مُستشهدا بخطأ "آدم" عليه السلام، وفي ذلك تلميح صريح هدفه الإطاحة بصورة "ابن الزبير" في عيون "أهل مكة" ويُبين لهم انه يستحق العقاب.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 209.

[2] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 206.

[3] المرجع نفسه ، ج 5، ص 165.

[4] زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، دط، 2011م، ص 274.

2 – 1 – 2 – استعمال (إنما) : ويتجسَّد استخدام هذه الأداة في قول "الحجاج":

المثال 1: قوله: ((يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر...)).[1]

وظَّف صاحب الخطاب الأداة (إنما) ملمِّحا إلى "أهل الشام" أنه يقف في صفهم مواليا لهم ويحميهم من كل ضرٍّ ويعول عليهم في كل أمر.

المثال 2: قوله: ((إني سمعت تكبيرا لا يُراد به الله، وإنما يُراد به الشيطان)).[2]

استعمل صاحب الخطاب الأداة (إنما) ليبين للمتلقي عن طريق التلميح إلى أنَّ التكبير الذي سمعه في السوق بغرض بعث الفتنة إذ يبين أنه يُراد به الشيطان وليس الله.

المثال 3: قوله: ((وإنما مثلي ومثلكم ما قال عَمرو بن برَّاقة الهمذاني: وكنت إذا قومٌ غزَوْني غزوتهم...)).[3]

وفي هذا المثال أراد المتكلم أن يُبين للمتلقي ملمّحا أنه سيردّ عليهم بالمثل، كأنه أراد القول أنه سيجازي كل من خرج عن طريقه وطاعته.

2 – 1 – 3 – التلميح بـ (حتى): ويظهر جليا استخدام "الحجاج" في التلميح بـ(حتى) في:

المثال 1: قوله: ((ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها...)).[4]

أراد صاحب الخطاب من خطابه هذا أن يخبر المُخاطَبين أن "ابن الزبير" أخطأ رغم كونه من علماء هذه الأمة، وبهذا الخطاب يكون قد امتصَّ غضب أهل مكة عليه وكبح ردَّة فعلهم المتوقعة جرَّاء قتله "ابن الزبير".

نلاحظ أنَّ "الحجاج" قد وظَّف بعض من أفعال الكنايات، فلقد استعمل التلميح بـ(لو) أكثر من غيرها في خطاباته وذلك أنَّ استخدام الشرط كتلميح يتناسب أكثر مع خطابه خاصة أنَّ جُل خطاباته تحمل رسالة التبليغ عن طريق التهديد والوعيد، ولاحظنا استخدامه للأداتين (إنما) و (حتى)

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 140 .

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 138.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص 138.

[4] زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ص 273.

بشكل أقل من سابقتهما، واستغنى عن بعض الآخر، مما يُبين عموما أنَّ أفعال التلميح لم تُستخدم بكثرة عند الحجاج.

2 – 2 – الأفعال اللغوية غير المباشرة :

يلجأ المُخاطب في خطابه إلى توظيفه بعض الأفعال اللغوية التي يرمي من خلالها إلى معنى غير ظاهر في اللفظ؛ هي أفعال غير مباشرة تتمثل في معاني ضمنية يفهمها المتلقي من خلال سياق الكلام، وسنحاول في هذا الجزء دراسة هذه الأفعال في خطب "الحجاج" بحسب تصنيف "سيرل" لها وهي كالتالي :

المثال 1: قوله: ((اسكت يا غلام)).[1]

أمره لغلامه بالسكوت يستلزم وجود أمر لا يُعجبه من كلام الغلام، وفي هذه الحالة لم يكن يقصد "الحجاج" من هذا التلميح الغلام وإنما أهل العراق بعدم تفاعلهم مع كلام الغلام وهو ردّ السلام، وهو فعل لغوي غير مباشر أراد صاحب الخطاب أن يبين من خلاله انزعاجه من المُخَاطَب.

المثال 2: قوله: ((والله لتستقيمن على طريق الحق...)).[2]

ما نفهمه من قول "الحجاج" أنَّ "أهل العراق" ليسوا على طريق الحق، فاستعمل هذا الخطاب ليبين للمتلقي أنَّ عليه من الآن فصاعدا أن يستقيم على طريق الحق وإن كان يحمل الكلام من خلال سياقه التهديد.

المثال 3: قوله: ((ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟!)).[3]

ونلمح من قول صاحب الخطاب أنه يخبرهم أنهم كذلك؛ أي وكأنه يقول لهم: أنتم لم تنهكم المواعظ ولم تزجركم الوقائع، وبالتالي يلمِّح لهم أنهم على الطريق الخطأ.

---

[1] العسكري، الأوائل، ص 326.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 140 .

المثال 4: قوله: ((يَا أَعدَاء اللَّه مَا هَذَا الترامز؟)).[1]

وفي هذا الخطاب تلميح واضح عن طريق الاستفهام من قبل صاحب الخطاب بأنه ناكرا لترامزهم، غير راض به، بل ويهدد بعد كلامه بالجزاء، فيستلزم من خلال خطابه: لا يعجبني ترامزكم هذا.

المثال 5: قوله: ((وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الرّاحة بكم)).[2]

هنا تلميح واضح لهم بالقتل أو العذاب أو الجزاء...، فبما أنه لا يريد الراحة لهم ولا الفرح فذا يستلزم وجود عذاب أو قتل أو ظلم... .

المثال 6: قوله: ((من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غما)).[3]

فمن خلال هذا الخطاب يمكننا أن نقول أن صاحب الخطاب يريد من المتلقي عدم التطرق في كلامه لأمر يضرُّه هو، ولم يصرِّح بذلك لأنَّ المتلقي يعلم قصد المتكلم، إذ يستلزم من كلامه القول التالي: من تلكم عنَّا بشيء يعيبنا ويضرنا قتلناه.

المثال 7: قوله: ((مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟)).[4]

في هذا الخطاب إشارة إلى انعدام العلم وتفشي الجهل وكثرة الأشرار، ففي خطابه شيء من التأنيب على الحالة السيئة التي وصل لها المتلقي (أهل العراق).

المثال 8: قوله: ((أيها الناس، لا يهولنّكم هذا)).[5]

هنا إشارة إلى استصغار الأمر الذي أرعب الناس وهو سحابة أضلتهم في ذلك اليوم، إذ يمكن أن نلمح من خلال خطابه أنه يريد القول: إن هذا الشيء هيّن فلا يهولنكم أمره.

نلاحظ من خلال ما سبق أن "الحجاج" قد استطاع أن يوصل قصده ويبلغ رسالته كمرسل عن طريق الأفعال اللغوية غير المباشرة، ولكن يبقى توظيفه لهذه الآلية قليل مقارنة بعدد الخطب المدروسة.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[3] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 209.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص 206.

[5] المرجع نفسه، ج 5، ص 165.

2 – 3 – الملمحات ودورها الحجاجي:

يستعمل المرسل في خطابه بعض الأدوات اللغوية التي تدلُّ على الافتراضات والتأكيدات والشكوك وغيرها من أفعال الرجحان، وذلك بقصد التلميح لقصد ما يريد أن يوصله المتكلم للمتلقي عن طريق هذه الأفعال، وفي هذا المطلب سنحاول عرض كل ما أفضت به خطب "الحجاج" من توظيف لهذه الآلية وذلك من خلال:

المثال 1: قوله: ((وإني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق)).[1]

استعمل "الحجاج" الفعل (أنظر) ليلمِّح لأهل العراق عاقبتهم والحال الذي يعدهم به بعد توليه أمرهم، فالحجاج جاء مهددا يتوعد أهل العراق بسوء العاقبة.

المثال 2: قوله: ((يَا أهل الْعرَاق، تزعمونَ أنَّا من بَقِيَّة ثَمود، وتزعمون أَنِّي سَاحر، وتزعمون أنَّ الله عزَّ وَجَلَّ علَّمني اسْما من أَسْمَائِهِ أقهركم بِهِ...)).[2]

المثال 3: قوله: ((يا أهل العراق، بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال...)).[3]

يُلمِّح صاحب الخطاب في خطابه بلسان المتلقين أنَّ كلامهم ما هو إلّا اتهام وادعاء غير صحيح، إذ يقصد من هذا الاستعمال رد ذلك الإدعاء وتكذيبه.

المثال 4: قوله: ((كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا...)).[4]

في هذا المثال إشارة واضحة بأنه يريد أن يجازي كل من اخطأ في حقه وادعى أنه مات، ففي هذا الخطاب يُبين المُخاطِب موقفه من جمهوره ومكانتهم عنده.

المثال 5: قوله: ((ولو علمت أنّ أحدا أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتكم)).[5]

استعمل صاحب الخطاب في خطابه الفعل (علم) مُلمِّحا لأهل العراق أنه أقوى قائد في ولاة بني أمية، وأنهم أكثر الولايات شرًّا من غيرهم، لذلك ولَّاه الخليفة عليهم ووجهه إليهم.

---

[1] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38.

[2] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 304.

[4] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 267 .

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 209.

المثال 6: قوله: ((إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب؛...)).[1]

وظَّف صاحب الخطاب الفعل (زعم) إشارةً منه عن طريق التلميح لقتل من يدَّعي أنه آمن بالله نفاقا.

لقد حظرت الملمحات في خطب "الحجاج" بعدد معتبر وذلك أن مقام خطبه ووضعه السياسي يحتاج إلى توظيف مثل هذه الآليات تلميحا لمقاصده، ولكي يوصل أفكاره للمتلقي بشيء ضمني يكتشفه هو لينشأ عنده نوع من القبول والتسليم بما يُعرض عليه من أفكار.

[1] المرجع السابق، ج 4 ، ص 206.

رابعا : تقنيات الإقناع اللغوية في خطب "الحَجَّاج":

1 – تحصيل الحاصل : يستند المرسل في كلامه عند تبليغه فكرة ما إلى بعض الآليات التي يمكنها أن تؤدي دور الإقناع والتأثير في المرسل إليه، ومن بين هذه الآليات ما يُعرف بتحصيل الحال، وسنحاول في هذا البحث دراسة ما أفضت به خطب "الحجاج" من توظيف لهذه الآلية، حيث نجد الأمثلة التالية:

المثال 1: قوله : ((يا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق ومساوىء الاخلاق)).[1]

المثال 2: قوله: ((يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق)).[2]

المثال 3: قوله: ((يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات!)).[3]

المثال 4: قوله: ((يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللَّكيعةِ، وعبيدَ العصا، وأولادَ الإماء، والفَقْعِ بالقَرْقرِ)).[4]

في هذه الأمثلة (1 . 2 .3 .4) التي عرضنا تعدَّدت وتكرَّرت الأوصاف لموصوف واحد هو "أهل العراق"، فهذا الاستعمال ورد في كل خطبة والذي يبدو في ظاهره حشوا وما هو بالحشوِ، إذ كان الهدف من هذا التوظيف هو الإقناع، فصاحب الخطاب في كلل خطبة من خطبه ورد فيها هذا الوصف المكرَّر يريد من خلاله تثبيت الصفة في نفس الموصوف أهل العراق، وبالتالي يقنعهم بأنهم خارجين عن طريق الحق ميَّالين إلى الزيغ.

المثال 5: قوله: ((يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟ هذا أدب ابن أبيه؟؟ والله لئن بقيت لكم لاؤدبنكم أدبا سوى أدب ابن أبيه)).[5]

---

[1] العسكري، الأوائل، ص 326 .

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 139 .

[4] المرجع نفسه،ج2، ص 137.

[5] العسكري، الأوائل، ص 327.

ففي هذا المثال ورد تحصيل الحاصل في صورة تكرار لفظة أدب ابن أبيه فذِكره لهذا اللفظ يكفي لتذكير المتلقي ويربطه بكل خصاله من عدم رد السلام، وعدم الطاعة ... وهنا لم يكن تكراره لهذا الكلام حشوا وإنما يريد به التأكيد.

المثال 6: قوله: ((أنا ابن جَلا وطلاَّع الثنايا متى أضع العمامة تعرفـوني)).[1]

في هذا المثال لجأ صاحب الخطاب لتحصيل الحاصل ليُعرِّف بنفسه ونسبه، فنفهم من قوله أنه بن جلا وطلَّاع الثنايا، أنه ابن رجل بارز ذو قيمة كبيرة، وذو جلدٍ يقهر الصعاب، فكلامه هذا يمثل أحد صور الحجاج بالحشو، لذكر أوصاف أبيه التي في الأخير تنطوي عليه هو ليثر في نس المتلقي ويجعله يرضخ لأمره.

المثال 7: قوله: ((ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية به كان فشلكم... يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم به كانت المعارك والملاحم)).[2]

استعمل صاحب الخطاب تكرار العبارة: يوم الزاوية ويوم دير الجماجم مرَّتين، وليس هذا التوظيف من باب التكرار اللفظي بل هو تكرار يقوي حجَّة صاحب الخطاب في خطابه، ففي هذا التكرير : جلب الانتباه والتعظيم والتأكيد والتذكير.

المثال: 8: قوله: ((إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر، ويُباعد عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب)).[3]

نجد أن كل هذه العبارات كلها تصُبُّ في مجرى واحد وهو الحماية والنصرة، وتعدد عبارة الحماية هذه ليست من باب التكرار والحشو، وإنما هي صورة من صور الحِجاج، إذ يُبين ويؤكد صاحب الخطاب نصرته وحمايته لهم عن طريق تكراره المتنوع، وهو من باب التضامن مع المتلقي إذ هو ضرب من ضروب الحِجاج أيضا.

---

[1] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38 .

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 139 .

[3] المرجع نفسه، ج2، ص 140 .

المثال 9: قوله: ((يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[1]

في هذا المثال تعدَّدت الأوصاف لموصوف واحد هو "أهل الشام"، إذ كان الهدف من هذا التوظيف هو الإقناع عن طريق إظهار أنهم من يُعوَّل عليهم وأنهم من يُحمى ويَنتصر بهم، وهو أيضا أحد صور التضامن مع المتلقي.

المثال 10: قوله: ((أَنا حُدَيا الظبي السانحِ والغرابِ الأبقع والكوكب ذِي الذَّنب)).[2]

في هذا المثال أيضا تعدَّدت الأوصاف لموصوف واحد هو صاحب الخطاب نفسه، فهدفه من هذا التوظيف هو التهديد عن طريق وصف نفسه بأوصاف تدعو للخوف والتشاؤم.

المثال 11: قوله: ((وايم الله إني لأحبُّ إليّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا)).[3]

المثال 12: قوله: ((إني سمعت تكبيرا لا يُراد به الله، وإنما يُراد به الشيطان)).[4]

المثال 13: قوله: ((أما والله لا تقرَعُ عصًا عصًا إلا جعلتها كأمْسِ الدَّابر)).[5]

المثال 14: قوله: ((مات الحجاج ومات الحجاج! فمه! وهل يرجو الحجّاج الخير إلا بعد الموت، والله ما يسرّني ألّا أموت وأنّ لي الدنيا وما فيها!)).[6]

المثال 15: قوله: ((فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل!)).[7]

المثال: 16: قوله: ((ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا)).[8]

استعمل صاحب الخطاب في خطاباته تكرار كلٍّ من لفظة (أُحْشَرَ، يُراد، عصا، الرجل، ذراع) مرَّتين، ولفظة (الحجَّاج) ثلاث مرَّات، ولفظة (الموت) أربع مرَّات، وذلك لإثارة الاستغراب في

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص 140 .

[2] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[3] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 304 – 305.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

[5]. المرجع نفسه، ج2، ص 138.

[6] ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج 2، ص 266.

[7] المرجع نفسه،ج 2، ص 267.

[8] المرجع نفسه،ج 2، ص 267.

نفس المتلقي وجلب الانتباه للخطاب الذي يليه وهو التهديد والوعيد، فكلها هذه الخطابات جاءت كردة فعل عن أمر ارتكبه أهل العراق لم يسُرّ "الحجاج".

المثال 17: قوله: ((لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الرّاحة بكم؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكره)).[1]

استعمل" الحجاج " التكرير في هذا الخطاب لجلب الانتباه لخطابه، ولتأكيد عدم إيراده الفرح ولا الراحة وكرهه لأهل العراق بتكرار لفظة (الفرح، الراحة، الكره) مرَّتين.

المثال 18: قوله ((ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم)).[2]

عدَّد "الحجاج" الوصف في خطابه لموصوف واحد هو (الخلفاء) فيذكر أنهم: الرَّاشدون المهديون المهتدون، وذلك تأكيدا منه على عظمة هؤلاء الشخصيات البارزة في الأمة، ثم يكرّر الوصف لموصوف واحد أيضا هو (عثمان بن عفان رضي الله عنه)، بقوله: الشهيد، ثم المظلوم، وذلك تعظيما له وبيان انه قُتل ظلما.

المثال 19: قوله: ((إن العلم يوشك أن يرفع، ورفعه ذهاب العلماء... ألا وإن الخير كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرّ كلّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره وأستغفر الله لي ولكم)).[3]

نلمح تحصيل الحاصل أيضا في هذا المثال وذلك من خلال تكرار لفظة (العلم، الرفع، الخير، الشرّ)، ففي هذا الخطاب استعمل "الحجَّاج" التكرار بغرض التحذير تضامنا مع من يخاطبهم (أهل البصرة)، وهو ما يحقق استراتيجية الإقناع في التداولية.

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص 209.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص 207 .

المثال 20: قوله: ((فَإِنَّهُ أوصى فِي الأَنْصَار أَن يُقْبل من محسنهم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئهم، أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم ...لَا أحسن الله لَهُ الصَّحَابَة، إِنِّي معجلٌ لَكُم الْجَواب: لَا أحسن اللَّه عَلَيْكُم الْخَلَافَة)).[1]

في هذا المثال تكرّرت لفظة كل من (مُحسن، مُسيء) مرّتين، وعبارة (لا أحسن الله) مرّتين، ولقد استعمل هذا التوظيف تداوليا بغرض التأكيد والتهديد.

ومن باب التكرار أيضا فقد ورد التكرار في صورة النداء في خطب "الحجاج" عموما وذلك في تكرار ندائه لأهل العراق (يا أهل العراق) تقريبا في جميع خطبه التي خطبها في العراق أو في أهلها، وأيضا تكرار عبارة (يا غلام) ثلاث مرات في أحد خطبه، وفي صورة الأمر قد كرَّر " الحجاج " أمره بالسمع والطاعة، كما ولقد كرَّر وبشكل كبير ولافت لفظة الجلالة (الله، اللهم)، وكل هذا الاستعمال لم يكن أبدا بالحشو أو التكرار اللفظي والترف الكلامي، وإنما تحقيقا للأثر التداولي الذي يريد تثبيته المتكلم في نفس المتلقي، وهو الإقناع وذلك عبر أغراض كثيرة يحملها هذا التكرار، من دعاء وتأكيد، ولفت انتباه، وسخرية، وتهديد ووعيد... وغيراه.

2 – الوصف :

2 – 1 – الصفة (النعت) : ويظهر جليا في:

المثال 1: قوله: ((إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد[2] إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها)).[3]

لجأ صاحب الخطاب إلى الحِجَاج في هذا المثال ليقنع مخاطَبِيه عن طريق الصفة المذكروة، وهي وصفهم بالإبل الشوارد والنوازع، فهذا الاستعمال يحقق في ذهن المتلقي الفكرة التي يرمي لها المتكلم وهي هروبهم من الحرب كالإبل في هروبها عندما يُفزعها شيء.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[2] الشوارد: الشريد: الهارب، من قولهم: قد شرد البعير وغيره.... يُنظر: الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط 1، 1992م، ج 1ص، 415.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

المثال 2: قوله: ((يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات...))[1].

وفي هذا المثال وصف " الثقفي" "أهل العراق" بالكفر والفجر ليثبِّت في نفوس بُعدهم عن الدين وخروجهم عن طاعة الله ووليهم، فاستعمل الوصف هنا ليقنع متلقيه بأنه في الطريق الذي لا يُفلح صاحبه.

المثال 3: قوله: ((يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[2]

استعمل صاحب الخطاب النعت ليُبين لمُخاطبيه مكانتهم عنده والدرجة الرفيعة التي هم فيها بالنسبة لولي أمهرهم، فوصفهم عن طريق التشبيه بالجنة والرداء والعدَّة والحذاء.

المثال 4: قوله: ((أَنا حُدَيا الظبي السانحِ والغرابِ الأبقع والكوكب ذِي الذَّنب)).[3]

استعمل صاحب الخطاب الصفة من خلال وصف الشيء الذي شبَّه نفسه به، فهو يريد القول أنه مثل الغراب الأبقع والكوكب ذي الذنب.

المثال 5: قوله: ((متى تجمَع القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنْفًا حَمِيًا تجتنِبْك المظالم)).[4]

استعمل "الحجَّاج" الوصف في خطابه (القلب الذكي..وأنفا حميما) لإقناع المتلقي عن طريق رسم صورة العزَّة والفطنة التي يريد أن يثبتها في نفوسهم.

المثال 6: قوله: ((واسمعوا وأطيعوا فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان)).[5]

استعمل "الحجاج" الوصف كآلية حجاجية لأقناع أهل العراق ويجعلهم يُسلمون بما يريده منهم، وهو السمع والطاعة للخليفة، وذلك بوصفه أنه خليفة والله وحبيب الله.

---

[1] المرجع السابق، ج2، ص 139.

[2] المرجع نفسه، ص 140.

[3] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

[5] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4 ، ص 206.

المثال 7: قوله: ((فَإِنَّهُ أوصى فِي الأَنْصَار أَن يُقْبل من محسنهم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئهم، أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم)).[1]

وفي هذا المثال يوظّف صاحب الخطاب الوصف في صورة مكرَّرة ليعطي خطابه أكثر حضور وجدِّية في نفس الجمهور، مستعينا به (أي الوصف) في عرض وعيده ليزرع فيهم الخوف وبالتالي الرضوخ لأمره.

2 – 2 – اسم الفاعل : ويتجسد في الأمثلة:

المثال 1: قوله: ((واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. وإني لصاحبها)).[2]

ففي هذا الخطاب استعمل "الحجاج" اسم الفاعل كآلية وصف ليُبين للمتلقي أنه الذي سيعاقب ويجازي الخارجين عن طريقه، فيقول بعد تهديده: وإني لصاحبها.

المثال 2: قوله: ((هل استخفَّكم ناكثٌ، أو استغواكم غاوٍ، أو استفزّكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه... هل شَغَبَ شاغبٌ، أو نَعَب ناعب، أو زَفَر زَافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره)).[3]

وظَّف صاحب الخطاب اسم الفاعل بكثرة في هذا الخطاب الموجه لـ"أهل العراق" معاتبا إياهم ومحذرهم من مغبَّة عصيانه واتباع من يحرِّضون للخروج عليه، فيصف مُضِلهم بقوله: ناكثٌ، غاوٍ، عاص، ظالم، خالع، شاغبٌ، ناعب، زَافر ...إلخ.

المثال 3: قوله: ((يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه)).[4]

لقد استخدم المتكلم في خطابه اسم الفاعل ليقنع المتلقي بموالاته له ودفاعه عنه، عن طريق الوصف، فهو يصف نفسه مدافعا عنهم بقوله: أنا لكم الطير الظليم الرَّامح ...إلخ.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38 .

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 139 -140 .

[4] المرجع نفسه، ج2، ص 140.

المثال 4: قوله: ((وتزعمون أَنِّي سَاحر)).[1]

وفي هذا الخطاب يستعمل الوصف من خلال توظيفه اسم الفاعل بقوله: ساحر، واسم الفاعل كما هو معروف يدل على المبالغة والتكثير، ف "الحجاج" في هذا الموضع يريد أن يُدحض ما زعمه أهل العراق من افتراء ودجل.

المثال 5: قوله: ((أَنا حُدَيا الظبي السانحِ[2])).[3]

وظَف صاحب الخطاب اسم الفاعل من خلال قوله: الظبي السانح، وفي هذا الوصف عمد "الحجاج" في توظيفه للتشاؤم ليقنعهم بسوء العاقبة التي تنتظرهم.

المثال 6: قوله: ((أما والله لا تقرَعُ عصًا عصًا إلا جعلتها كأمْسِ الدَّابر)).[4]

في هذا الخطاب استند "الحجاج" بالوصف من خلال ذكر اسم الفاعل (الدَّابر) ليبين ويقنع المتلقي بأنه سيقضي هذا الأمر (أي عصيانهم وخروجهم عنه) بحيث لا يمكن أن يتكرَّر وكأنه الماضي الذي لا يرجع.

المثال 7: قوله: ((كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا)).[5]

لجأ صاحب الخطاب للوصف المتعدّد ليرسم في ذهن المتلقي صورة العاقبة التي تنتظرهم، فرغم أنَّ الخطاب يحمل معنى التهديد إلا أنَّ الوصف ساعد في إظهار شكل التهديد مما يؤثر في نفس المتلقي ويجعله يُسلم بما يريده صاحب الخطاب.

المثال 8: قوله: ((وما أراكم إلا كارهين لمقالتي)).[6]

استعمل الوصف في هذا الخطاب بقوله (كارهين)، وذلك ليقنعهم بأنه يعلم أنهم كارهين لخطابه وغير راغبين فيه عن طريق وصفه حالتهم.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[2] السانحُ: مَا أَتَاك عَن يَمِينك من ظَبْيٍ أَو طَائِرٍ ...، وقد استعملته العرب في كلامها للتشاؤم أو التيمُّن، يُنظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج3، ص 201.

[3] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[4] الجاحظ، البيان والتبيين،ج2، ص 138.

[5] ابن قتيبة، عيون الأخبار،ج 2، ص 266 – 267 .

[6] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

المثال 9: قوله: ((فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين)).[1]

استند "الحجاج" بالوصف في قوله: (رابعا، المهديين، الراشدين)، ودلالة ذلك الإثبات، حيث أراد أن يبين مُخاطَبيه بأنَّ وليهم "عبد الملك بن مروان" في حيز الخلفاء الراشدين.

المثال 10: قوله: ((ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيه ملك قادر)).[2]

استعمل هنا اسم الفاعل (الفاجر، قادر) ليرسم في أذهان جمهوره صورة الدنيا والآخرة وبالتالي توجيههم للعمل الصالح.

2 – 3 – اسم المفعول: وفي هذا العنصر نجد:

المثال 1: قوله: ((وايم الله إني لأحبُّ إليّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا)).[3]

استعمل صاحب الخطاب الوصف في كلامه متجسدا في صورة اسم المفعول، في قوله: مغلولا، فلقد أراد "الحجاج" من هذا التوظيف أن يُظهر لشيعة العراق مدى حبَّه "لأبي بكر" و"عمر" رغم كرههم لهما، وهذا من دهاء "الحجاج" لأنه بهذا التوظيف جعل مرتبته في مرتبة الصحابيين لأنهما أوذيا من قبل شيعة العراق بالتجريح.

المثال 2: قوله: ((ثم عثمان الشهيد المظلوم)).[4]

استعمل صاحب الخطاب اسم المفعول يصف مقتل عثمان رضي الله عنه بقوله: المظلوم فهو شهيد الله، بخلاف ما يرى بعض الناس خاصة شيعة أهل العراق.

لقد استطاع " الحجاج " من خلال استعماله أسلوب الوصف أن يرقى بخطابه إلى أعلى مراتب الإقناع بالحجج، إذ استند في خطبه إلى عرض سلسلة من النعوت والأوصاف محاولة منه أن يرسم

---

[1] المرجع السابق، ج 4، ص 209.
[2] المرجع نفسه، ج 4، ص 207.
[3] المرجع نفسه، ج 5، ص 305.
[4] المرجع نفسه، ج 4، ص 209.

أفكار تارة وتهديده ووعيده تارة أخرى في نفس المُخاطب عن طريق الوصف، فلقد استطاع الوصف بجميع أنواعه أن جعل من خطب " الحجاج " مادة حجاجية هدفها وغايتها الإقناع رغم الصور التهديدية الطاغية على وصفه.

3- ألفاظ التعليل : يستعمل صاحب الخطاب في خطابه بعض الأدوات التي يستخدمها كحجة يعلل بها موقفه أو توجهه، وفي هذا العرض سنحاول عرض أدوات التعليل التي استخدمها"الحجاج" في خطبه يحاجج بها جمهوره وذلك من خلال الأمثلة التالية:

3 – 1 – التعليل السَّببي: ويتجسَّد ذلك في :

المثال 1: قوله: ((متى تجمَع القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنْفًا حَمِيًا تجتنِبْك المظالم)).[1]

هنا ورد التعليل السَّببي عن طريق الشرط، فإذا كانت كل حجّة من الحجج مقدّمة ظاهرة تستتبع نتيجة، فهنا (القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنْفًا حَمِيًا) مقدمة لنتيجة هي (تجتنبك المظالم)، فهي نتيجة لمن سار على وفق هذه القاعدة (الذكاء والقوة والعزَّة).

المثال 2: قوله: ((إياكم والزّيغ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله)).[2]

هنا عمد صاحب الخطاب إلى تعليل عاقبة الشيء المحذر منه وهو الزيغ بذكر عاقبته، إذ استعمل تداوليا الزيغ مقدمة حجاجية لنتيجة هي إنه – أي الزيغ – يحيق بأهله.

المثال 3: قوله: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة)).[3]

علل صاحب الخطاب نتيجة تقوى الله بالثواب، فكانت التقوى مقدمة لنتيجة هي الثواب من عند الله عز وجل.

المثال 4: قوله: ((ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره)).[4]

وظَّف "الحجاج" في هذا الخطاب التعليل السببي عن طريق الشرط، فكان خطابه حجاجيا عرض فيه علم الخير كمقدمة لنتيجة هي حصد الخير، وعمل الشرّ مقدمة لنتيجة هي حصد الشرّ.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 209.

[3] المرجع نفسه، ج 4 ، ص 206.

[4] المرجع نفسه، ج 4، ص 207 .

ما نلاحظه في هذا الجزء من الدراسة أنَّ "الحَجَّاج" لم يستند إلى ألفاظ التعليل -كحجج يستملها لإقناع جمهوره - بكثرة في خطاباته، فكان ورودها في خطبه قليل جدًّا وذلك ربما لأنَّه لم يكن بحاجة لعرض أسباب لمسلماته إذ كانت معظم خطبه تهديدية لا تحتاج إلى تعليل.

4- الحجاج بالتبادل : يستند المرسل في كلامه الموجه للمرسل إليه إلى ما يُعرف بالحجاج بالتبادل وذلك بغرض الإقناع بترسيخ ما يحمله المرسل بينهما بالتساوي بتطبيق قاعدة العدل، وسنعرض في هذا المطلب ما يمكن توفره في خطب الحجاج من أمثلة تخص هذا العنصر.

المثال 1: قوله: ((فبيني وَبَيْنكُم كتاب الله تَعَالَى)).[1]

من خلال سياق الكلام نفهم أنَّ صاحب الخطاب أراد من كلامه هذا إقناع المتلقي عن طريق عرضه كلام الله، إذ هو الحكم الذي يحكم بينهم، وذلك لردِّ ما زعموا بأن "الحجاج" ساحر.

المثال 2: قوله: ((مثلي ومثلكم ما قال عَمرو بن برَّاقة الهمذاني:

كنت إذا قومٌ غزَوْني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدان ظالمُ)).[2]

استند صاحب الخطاب إلى بيت شعري لـ"عمرو بن برَّاقة" ليجسِّد من خلاله آلية الحجاج بالتبادل، إذ أراد من خلاله أن يُقنع "أهل العراق" بأنه يعملهم بالمثل، وكأنه يقول لهم: متى تعادوني أعاديكم أو تظلموني أظلمكم... وهكذا.

نلاحظ أن "الحجاج بن يوسف الثقفي" استعمل الحِجاج بالتبادل لإقناع أهل العراق بجدوى ما يذهب في خطبته عن طريق المراوغة باستعمال مبدأ التساوي بينه وبين من يُوجِّه لهم الخطاب.

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

خامسا: السلالم الحجاجية والروابط الحجاجية:

1 – السلالم الحجاجية:

يلجأ المرسل في عملية التبليغ أحيانا إلى ما يعرف بالسلم الحجاجي، وذلك بترتيب مجموعة الحجج في فئة حجاجية واحدة، ليعطي خطابه قوة تأثيرية مضاعفة في عملية الإقناع، ويتجسد استخدام هذه الآلية في خطب الحجاج من خلال هذه الأمثلة:

المثال 1: قوله: ((أنا ابن جَلا وطلاَّع الثنايا *** متى أضع العمامة تعرفـوني)).[1]

النتيجة (ن)	صورة "الحجاج الثقفي"
ح 3	معروف بين العامة
ح 2	طلاَّع الثنايا
ح 1	ابن جَلا

أراد صاحب الخطاب في خطابه هذا أن يُثبت نسبه وقوته للمُخاطَب، وذلك من خلال عرضه للحجج المرتبة ترتيبا تداوليا من أضعف حجَّة إلى أقواها، فيبيّن في أول حجَّة يعرضها أنه ابن رجل بارز وذو قيمة، ثم يليها بحجَّة أقوى منها، فيبيّن أنه ذو جلد يقهر الصعاب، وكل هذه الأوصاف تجعل منه رجل معروف بين عامة الناس؛ وهذه هي ثالث حُجة يعرضها، لنتيجة هي أنه "الحجاج بين يوسف الثقفي".

إن هذا الترتيب المُتقن والمنظم للحجج يساهم بشكل كبير في التأثير في المتلقي وإقناعه بما يحمله الخطاب من مقاصد هي مُراد صاحب الخطاب من خطابه.

المثال 2: قوله: ((أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذّوه بنعله وأجزيه بمثله، واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. وإني لصاحبها، وإني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق)).[2]

[1] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38.

[2]. المرجع نفسه، ص 38.

النتيجة (ن) إيصال رسالة التهديد لـ"أهل العراق"

ح 4 الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق

ح 3 إني صاحبها

ح 2 رؤوسا قد أينعت وحان قطافها

ح 1 إني لأحمل الشر بحمله ...

يريد صاحب الخطاب أن يُقنع المتلقي بجدية تهديده للمتلقي، وأنَّه يحمل لهم الشرَّ لا الخير، فيعرض أقاويله التهديدية على شكل حجج مرتبة ترتيبا عموديا من أقوى حجة إلى أضعفها، فيُسلِّم في أول حججه يحمله الشرَّ لهم، ثم يُبين أنه ستُقطع رؤوس كل الذين ظهروا يريدون الفتنة، ثم يليها بحجة أقوى منها بقوله أنه هو المجازي، ثم يختم بأخر حُججه بوصفه المشهد، بذكره الدماء تترقرق بين اللحى.

وبهذا التوظيف يكون صاحب الخطاب قد عرض تهديده بشكل تداولي من شأنه أن يؤثر في المتلقي ويجعله يخضع لمراد المتكلم.

المثال 3: قوله: ((ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وأجريت مع الغاية، وأن أمير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرّها عودا وأشدها مكسرًا، فوجهني إليكم ورماكم بي)).[1]

النتيجة (ن) أحقية " الحجَّاج" في توليه " أهل العراق"

ح 5 ولَّاه أمير المؤمنين عليهم

ح 4 أشد رجال أمير المؤمنين

ح 3 أجري مع الغاية

ح 2 التجربة

ح 1 الذكاء

[1] المرجع السابق، ص 29.

لقد لجأ " الحجَّاج" في هذا الموقف إلى ترتيب مجموعة من الحجج في فئة حجاجية واحدة، وذلك لإقناع "أهل العراق" بأحقية توليه العراق، وأنه الأنسب في حكمهم، فعرض حججه بترتيب من الأضعف إلى أقوى حُجَّة، فعرض أنه شديد الذكاء، ثم أنَّه ذو تجربة، وأنه أُجري مع الغاية، وأنَّ أمير المؤمنين قد رآه الأنسب من بين رجاله، فأولَّاه عليهم.

إنَّ هذا التوظيف التداولي للحجج من شأنه أن يؤثر في المتلقي يثبت في نفسه أحقية صاحب الخطاب في الولاية.

المثال 4: قوله: ((وأيم الله لألحونكم لحو العصا. ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل)).[1]

النتيجة (ن)	تنفيذ التهديد
ح 4	أضربنكم ضرب غرائب الإبل
ح 3	أعصبنكم عصب السلمة،
ح 2	أقرعنكم قرع المروة
ح 1	ألحونكم لحو العصا

ففي هذا المثال أراد صاحب الخطاب إيصال تهديده للمتلقي عن طريق عرض مجموعة من الأقاويل مرتبة ترتيبا عموديا من الأضعف إلى الأقوى، فصاحب الخطاب يريد أن يُقنع المتلقي بجدية تهديد وقدرته على تنفيذ التهديد.

المثال 5: قوله: ((وإياي وهذه الزرافات والجماعات، وقال وقيل، وما يقولون وفيم أنتم، والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده، من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله)).[2]

[1] المرجع السابق، ص 29.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

النتيجة (ن) ↑ تنفيذ التهديد

ح 3 ← من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه

ح 2 ← والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده

ح 1 ← وإياي وهذه الزرافات والجماعات، وقال وقيل

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال أيضا مجموعة من الحجج مُمثلة فئة حجاجية واحدة لإقناع المتلقي بجدية تهديده له.

المثال 6: قوله: ((يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء،والشغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشّش، ثم باض وفرّخ، فحشاكم نفاقا وشقاقا، وأشعركم خلافا، واتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيرونه)).[1]

النتيجة (ن) ↑ وصول أهل العراق إلى قمة النفاق والشقاق

ح 3 ← اتخذوا الشيطان دليلا و قائدا ومؤامرا

ح 2 ← ملؤهم نفاقا وشقاقا وأشعرهم خلافا

ح 1 ← استبطنهم الشيطان حتى خالط اللحم والدم

ففي هذا المثال أراد الحجَّاج أن يبين الدرجة الكبيرة التي وصلها "أهل العراق" في العصيان واتباع سُبل الغي، فبدأ خطابه بحجة ضعيفة هي أن الشيطان قد استبطنهم ووسوس لهم، والشيطان يستطيع أن يوسوس لأي أحد، ثم عرض ليكمل حجَّته الأولى بحُجة أقوى منها، فبين أنه ملؤهم شقاقا ونفاقا... ثم ينتقل إلى الحجة الأقوى وهي: وصولهم إلى أن أصبح الشيطان دليلهم وقائدهم ومستشارهم، والنتيجة هي الحالة التي وصولوا إليها من عصيان واتباعٍ لسبل الغي والمكر والخداع، فهذا الترتيب الدقيق من شأنه أن يؤثر في "أهل العراق" ويجعلهم يراجعون أنفسهم عسى يخرجون من نفق العصيان والخروج عن طاعة وليهم.

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138.

المثال 7: قوله: ((ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية، به كان فشلكم، وتنازعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم ونكوص وليّكم عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حين عضّكم السلاح، ووقصتكم الرماح)).[1]

النتيجة (ن) ← فشلهم في يوم الزاوية ونكوص وليهم عنهم

ح 3 ← حين عضّكم السلاح، ووقصتكم الرماح

ح 2 ← لا يسأل المرء عن أخيه...

ح 1 ← ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها...

لقد بدأ الحجاج خطابه بعرض حُججه بالترتيب، فذكر في الحَجَّة الأولى هروبهم من الحرب، ثم يليها بحجَّة أقوى منها، حيث صوَّر هروبهم بأنهم لم يلتفت أحد لأحد، ثم ذكر الحجة الثالثة، وهي خوفهم من السلاح، وأخيرا ضربوا بالرماح، حتى غضب عنهم الخليفة (وليُّهم) وأنكر فعلتهم، فهذا الترتيب للحجج يؤثر في المُخاطَب بالتسليم بما يحمله الخطاب من أفكار، فالحجاج أراد إقناعهم بأنَّ هروبهم من الحرب معصية كبيرة لولي أمرهم.

المثال 8: قوله: ((يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم، ؟! به كانت المعارك والملاحم، بضربِ يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله)).[2]

النتيجة (ن) ← تصوير واقعة دير الجماجم

ح 3 ← بضربِ يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

ح 2 ← به كانت المعارك والملاحم

ح 1 ← يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم

أراد الحجاج بهذا الترتيب التداولي للحجج أن يُبَيِّن لـ"أهل العراق" قوته ويذكرهم بهذه الواقعة ليبث في نفوسهم الخوف، وهدفه الحجاجي هنا هو إقناع "أهل العراق" عن طريق التهديد، بالتخلي عن

[1] المرجع السابق، ج2، ص 139.

[2] المرجع نفسه، ج2، ص 139.

الخروج عن طاعته وحكمه، فذكَّرهم بواقعة دير الجماجم التي انهزم فيها " ابن الأشعث" الخارج عن ولاية بني أمية.

المثال 9: قوله: ((يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات! إن بعثتُكم إلى ثغوركم غَلَلْتُم وخُنتم وإن أمِنتم أرْجَفْتُم وإن خِفتُم نافقتم. لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة)).[1]

النتيجة (ن) تبليغ أهل العراق بأنهم أهل كفر وفجر

ح 5 لا تشكرون نعمة

ح 4 لا تذكرون حسنة

ح 3 إن خِفتُم نافقتم

ح 2 إن أمِنتم أرْجَفْتُم

ح 1 إن بعثتُكم إلى ثغوركم غَلَلْتُم وخُنتم

يريد "الحجاج" بخطابه هذا توصيل رسالة لـ"أهل العراق" مفادها أنهم اجتمعت فيهم كل خصال الكفر والفجر، حيث رماهم بالخيانة والفتنة والنفاق، وأنهم لا يذكرون حسنة ولا يشكرون نعمه، فهذا الترتيب للحجج من شأنه التأثير في المتلقي وجعله يُسلِّم بما يقصده المتكلم من كلامه.

المثال 10: قوله: ((يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر، ويُباعد عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب. يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[2]

[1] المرجع السابق، ج2، ص 139.

[2] المرجع نفسه، ص 140.

النتيجة (ن) بيان مولاة " الحجاج" لأهل الشام

ح 5 أنتم العّدة والحذاء

ح 4 أنتم الجنّة والرداء

ح 3 ويحرسها من الذئاب

ح 2 ويحميها من الضباب

ح 1 أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر...

يتبيَّن لنا من خلال هذا الترتيب المحكم للحجج أنَّ "الحجَّاج بن يوسف الثقفي" يريد ان يقنع "أهل الشام" بموالاته لهم، فهو لهم كما يقول: كالظليم الرامح عن فراخه، يدافع عنهم وحميهم ويحرسهم، فهم الجنة والرداء والعدة والحذاء.

المثال 11: قوله: ((يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللَّكيعةِ، وعبيدَ العصا، وأولادَ الإماء، والفَقْعِ بالقَرْقرِ)).[1]

النتيجة (ن) حكم "الحجاج" على"أهل العراق" بالكفر والظلال

ح 5 وأولادَ الإماء والفَقْعِ بالقَرْقرِ

ح 4 وبني اللَّكيعةِ وعبيدَ العصا

ح 3 ومساوئ الأخلاق

ح 2 يا أهل الشِّقاق والنِّفاق

ح 1 يا أهل العراق

أراد "الحجاج" أن يوصل لـ"أهل العراق" رسالة فحواها أنهم في طريق الظلال، فبيَّن لهم هذا الأمر في شكل فئة حجاجية تتخللها مجموعة من الحجج مرتبة تداوليا، بحيث تعطي خطابه أكثر تأثيرا، مما يجعل المتلقي يُسلم بما يحمله الخطاب (وهو الكفر والضلال)، أو يتجنَّب عن تلك الأوصاف، وفي النتيجة حدث التغير الذي يريده صاحب الخطاب.

[1] المرجع السابق، ج2، ص137.

المثال 12: قوله: ((كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا، وأكلت الأرض لحمه ومصّت صديده، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول، ثم نزل)).[1]

النتيجة (ن) تنفيذ "الحجاج" تهديده

ح 5 انصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله

ح 4 أكلت الأرض لحمه ومصّت صديده

ح 3 نقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا

ح 2 بكل رطب يابسا

ح 1 كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا

استعمل "الحجاج" هذا الترتيب الحجاجي من اجل إقناع من يُخاطبهم بجدية تهديده ووعيد لهم. فهذا التوظيف يبث في نفس المتلقي الرعب والخوف مما يجعله يخضع لما يريده صاحب الخطاب.

المثال 13: قوله: ((ثم وليكم البازل الذكر الذي جرّبته الأمور، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ؛ فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين؛ فاختار الله له ما عنده، وألحقه بهم)).[2]

النتيجة (ن) تسليم "الحجاج" بأحقية "عبد الملك" في كونه رابع الخلفاء

ح 5 اختار الله له ما عنده، وألحقه بهم

ح 4 فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين

ح 3 اللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ

ح 2 أحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن

ح 1 وليكم البازل الذكر الذي جرّبته الأمور

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 266 – 267 .

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 209.

من خلال هذا التسلسل المرتب للحجج يُسلِّم "الحجَّاج" بأنَّ "عبد الملك بن مروان" هو رابع الخلفاء الراشدين، فلجأ إلى هذا الترتيب ليُقنع مُخاطَبيه بأحقية "عبد الملك" أن يكون في حيز الخلفاء الأربعة المهديين.

المثال 14: قوله: ((مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيّعون ما به أُمرتم)).[1]

النتيجة (ن) أن "أهل العراق" قد ضيعوا ما أمرهم الله به

ح 4 تحرصون على ما كفيتم

ح 3 وشراركم لا يتوبون

ح 2 جهّالكم لا يتعلمون

ح 1 مالي أرى علماءكم يذهبون

وفي هذا الخطاب أيضا يريد صاحب الخطاب أقناع من يخاطبهم ببعدهم عن طريق الحق واتباع سُبل الجهل الظلال، فبدأ كلامه ببعدهم عن العلم، ثم غرقهم في الجهل، ثم عدم التوبة، وبالتالي ضيعوا ما أمر الله به.

المثال 15: قوله: ((ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكنّ بحرم الله)).[2]

النتيجة (ن) أحقية قتل "ابن الزبير"

ح 4 استكنّ بحرم الله

ح 3 خلع طاعة الله

ح 2 حتى رغب في الخلافة ونازع فيها

ح 1 ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة

[1] المرجع السابق، ج 4، ص 206 .

[2] زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ص 273-274.

في هذا الخطاب أراد "الحجاج" أن يُثبت لأهل مكة أن "ابن الزبير" يستحقُّ العقاب، فراح يتنقل تداوليا الكلام بترتيب الحجج على شكل فئة حجاجية واحدة، فبدأ القول بأن" ابن الزبير" كان من علماء هذه الأمة، ثم بَيَّن انه رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها، وبالتالي صرَّح بأنه خلع طاعة الله، واستكنَّ بحرمه، وذلك كله نتيجته العقاب، ليمثِّل له بما جرى لآدم عليه السلام وهو ما نبينه في المثال الأخير.

المثال 16: قوله: ((الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته)).[1]

النتيجة (ن) ← عقاب "آدم" عليه السلام بالخروج من الجنة

ح 4 ← فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته

ح 3 ← وأباحه جنته

ح 2 ← أسجد له ملائكته

ح 1 ← الله تعالى خلقه بيده

استعمل الحجاج هذا الترتيب من باب التمثيل ليبين لـ"أهل مكة" أنَّ جزاء المخطئ العقاب، حتى وان كان " آدم " عليه السلام.

2– الروابط الحجاجية: إن من الآليات الحجاجية الأكثر تأثيرا في استراتيجية الإقناع مجموعة الأدوات والروابط الحجاجية التي تُوظَّف في الخطاب لربط بين الكلام، مما يُساهم في فهم الخطاب والتأثير في المتلقي، وسنكتفي في هذا الجزء بذكر بعض الأدوات والروابط، وذلك لأننا تطرقنا لها سابقا، وهذه الأدوات هي (قد، حتى، لكنَّ، لأنَّ، إذ) :

2 – 1 – دور (قد) الحجاجي:

المثال 1: قوله: ((واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها)).[2]

[1] المرجع السابق، ص 274.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38.

استعمل صاحب الخطاب الأداة (قد) في هذا المثال لتقديم الحُجّة وتكوين النتائج المراد الوصول إليها بعد تقديم الحجَّة، وكلتا الحجُّة والنتيجة هنا أتت بعد الأداة (قد)

قد ← الحجَّة: أينعت **النتيجة:** وحان قطافها.

المثال 2: قوله: ((هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

وقد لفها الليل بعصبلي أروع خرّاج من الدوى)).[1]

واستُعملت الأداة (قد) في هذا الخطاب في تقديم الحُجَّة (لفها الليل بسواقي حُطم...)، حيث تكون النتيجة المراد الوصول إليها مُقدَّمة عنها.

النتيجة: هذا أوان الشد فاشتدي زيم ← قد ← **الحُجَّة:** لفها الليل بسواق حطم...

النتيجة: هذا أوان الشد فاشتدي زيم ← قد ← **الحُجَّة:** لفها الليل بعصبلي.

المثال 3: قوله: ((يَا أَهْلَ الْبَصْرَة إِنِّي أُرِيد الْخُرُوج إِلَى مكَّة وَقد استخلفتُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ابْني... أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم)).[2]

في هذا الخطاب استخدمت (قد) لتقديم الحجَّة وعرض النتائج.

الحُجَّة:إِنِّي أُرِيد الْخُرُوج إِلَى مكَّة ← قد ← **النتيجة:** استخلفتُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ابْني.... أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم.

المثال 4: قوله: ((أيها الناس إنكم أغراض حمام، وفرضة هلكة، قد أنذركم القرآن...)).[3]

ربطت الأداة (قد) في هذا المثال بالحجَّة والنتيجة كما ذكرنا سلفا حيث :

النتيجة: إنكم أغراض حمام، وفرضة هلكة ← قد ← **الحُجَّة:** أنذركم القرآن.

2 – 2 – استعمال الأداة (حتى):

المثال 1: قوله: ((ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة)).[4]

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 308 – 309.

[2] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[3] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

[4] زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ص273.

في هذا المثال استعمل المرسل الأداة (حتى) للرَّبط بين حُجَّتين، وساعدت أن تدحض الحجة الأولى بإدراج حُجَّة جديدة أقوى من التي قبلها.

الحجَّة: "ابن الزبير" كان من أحبار هذه الأمة ← حتى ← **الحجَّة:** رَغِب في الخلافة.

فتسليمه بالحجة الثانية يُبطل الحجة الأولى.

2 – 3 – استعمال الأداة (لكنَّ):

المثال 1: قوله: ((فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه ولكنَّها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها..)).[1]

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال الأداة (لكنَّ) ليقدِّم من خلالها معلومة للمتلقي هي الحجَّة المقدمة له ليصل إلى النتيجة.

لكنَّ ← ها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها. **النتيجة:** تُفهم من خلال السياق وهي أنَّ "أهل الشام" فهموا أنَّ هذه السحابة ما هي إلا صواعق معهودة في جبال تهامة.

2 – 4 – استعمال الأداة (لأنَّ):

المثال 1: قوله: ((لأنَّ الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته...)).[2]

استعمل صاحب الخطاب الأداة (لأنَّ) في هذا الخطاب مُقدِّما من خلالها حُجة عن طريق التعليل للوصول إلى النتيجة التي يريدها.

النتيجة: هي الشيء الذي يريد أن يُثبته "الحجاج" وهو أنَّ الله يجازي العاصي مهما كان، حتى وإن كان آدم عليه السلام ← لأنَّ ← **الحُجَّة:** الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته.

2 – 5 – استعمال الأداة (إذ):

المثال 1: قوله: ((ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية، به كان فشلكم، وتنازعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم ونكوص وليّكم عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها)).[3]

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[2] زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ص 274.

[3] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 139.

استعمل صاحب الخطاب في هذا المثال الأداة (إذ) ليؤكد حُجَّته الأولى بحجَّة .

الحجَّة: ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية، به كان فشلكم... ← إذ ← **الحجَّة:** ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها.

لقد حضرت الروابط الحجاجية بكثرة في خطب "الحجاج" كما رأينا في هذا الجزء وما عرضناه سابقا من أدوات استفهام، وشرط، ونهي، وبعض أدوات التلميح والتعليل، في هذا البحث، ورأينا الدور الحجاجي القوي الذي أدته هذه الروابط، إذ ساهمت في الربط بين الأقوال المختلفة المتنوعة من حجج ونتائج، فلقد بسّطت أداء عملية التبليغ، أعطتها الصورة الحجاجية القوية، وساعدت في التأثير في المتلقي وإقناعه بما يريده المتكلم من خطابه.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما حوته دراستنا في هذا البحث، والمتعلقة بموضوع " آليات الحجاج في خطب الحجَّاج"، نخلص إلى أنَّ التداولية –كأحد النظريات التي تختص بدراسة اللغة البشرية – تجاوزت في دراستها حدود الخطاب إلى ما يجعل منها نظرية عامة تبحث في كل ما يخصُّ النشاط الإنساني، فهي عبارة على دراسة تربط بين أبنية الخطاب المختلفة وقائليها، فمحور دراستها هو السياق أو مقام الخطاب.

ويمكن أن نعرض أهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال هذا البحث وذلك في نقاط هي:

- ✓ إن تقنيات الإقناع المتمثلة في الوسائل اللغوية تمثل الدور الأساسي والمهم في النص الحجاجي، ومن خلال دراستنا للنماذج السابقة استنتجنا القيمة التي أدتها هذه الوسائل في عرض الأفكار والنتائج المعبر عنها، ودورها الأساسي في صيرورة العملية الإقناعية بشكل صحيح.
- ✓ إن أهم ما ميز خطابات "الحجاج" من الناحية الإقناعية هو تركيزه على آليات التوجيه التي من بينها الأمر والنداء والنهي، كأحد أهم الوسائل التي يبرز من خلالها سيطرته على المتلقي والتأثير فيه.
- ✓ أدت تقنية تحصيل الحاصل أو التكرار دورا مهما في تمام العملية الإقناعية، حيث ساهمت في تأكيد مقاصد صاحب الخطاب في نفوس مُخاطَبيه، مما يزيد إمكانية التأثر والقبول بما يحمله الخطاب من أفكار.
- ✓ أدَّت الروابط الحجاجية دورا مهما في العملية الإقناعية في خطب " الحجاج" حيث تنوعت واختلفت من حيث الاستعمال في عرض الحجج، أو كتلميح يريد من خلاله " الحجاج " إيصال فكرة لمخاطَبيه.
- ✓ إن حضور تقنية السلم الحجاجي في خطب "الحجاج" بشكل كبير، أعطى خطابات " الحجاج" قوة تأثيرية مضاعفة في عملية الإقناع، ساهمت في جمال النص الخطابي عند "الحجاج" من جهة، وفي تمام العملية التبليغية لصاحب الخطاب من جهة أخرى.
- ✓ كنتيجة إحصائية نلاحظ أن خطب خُطب "الحجاج" قد اشتملت على عدد كبير من الآليات الحجاجية اللغوية تفاوتت من حيث عدد الاستعمال والتوظيف، وذلك بحسب ما

يقتضيه حال المتلقي من أدوات حتى يؤدي النص الخطابي غرضه الإقناعي، فنجد أنَّ آليات التوجيه الأكثر توظيفا في خطب "الحجاج بن يوسف" ذلك لما تؤديه هذه الآليات من دور مهم في فرض السيطرة على المتلقي والتأثير فيه، خاصة أنَّ معظم خطبه كانت موجَّهة لأهل العراق والشام، فكان عدد ورود هذه الآليات في خطبه 59 مرة وذلك بنسبة 37 % من مجمل الآليات، أبرزها النداء بنسبة 30 % والأمر بـ 18 %، بالإضافة إلى تقنيات الحجاج اللغوية التي استخدمت بعدد كبير أيضا بلغ عدد استعمالها 45 مرة وذلك بنسبة 28 % من مجمل الآليات، أبرزها تحصيل الحاصل بنسبة 44 %، والوصف بـ 42 %، أما السلالم الحجاجية فبلغ عددها 16 سلما حجاجيا، مما يبين القيمة الإقناعية لهذه الآلية، أما آليات التلميح والروابط الحجاجية فقد استعملت هذه الآليات بعدد معتبر وذلك لما لها من دور فعال في انسجام النص الحجاجي، أما وسائل التضامن فقد كان ورودها بعدد قليل جدًّا، وهو راجع إلى أنَّ حال المتلقي يستوجب نوعا من المباشرة والحدَّة والصرامة في الإلقاء، بالإضافة إلى علو درجة المتكلم مقارنة بالمتلقي.

- ✓ رغم توظيف "الحجاج بن يوسف الثقفي" لهذه الآليات (الآليات اللغوية) عن طريق التضليل لا الإحقاق، إلاَّ أنَّه قد وُفق في إقناع المتلقي إلى حد كبير، مما يؤكد القيمة التي تمثلها آليات الحجاج في عرض الحجج والتأثير في المتلقي، والقدرة الكبيرة التي يمتلكها صاحب الخطب في حسن توظيفه لهذه الآليات بحسب ما يقتضيه المقام.
- ✓ اتسمت الخطابة عند "الحجاج ابن يوسف الثقفي" بعذوبة اللفظ ومتانة الأسلوب، وقوة التأثير والاقتباس من القرآن الكريم، والسير على منهجه في الإقناع بالحجة والبرهان والتأثير في الوجدان، حيث صورت هذه النماذج شخصية "الحجاج" أوضح تصوير، إذ بدا فيها القائد الحازم العنيف الباطش المحب للسيطرة والنظام والطاعة، والخطيب المصقَّع القادر على التأثير في نفوس سامعيه.

- ✓ إن أهم نقطة تجدر الإشارة إليها من خلال هذه البحث، هي ثراء التراث اللغوي العربي، خاصة في مجال البحث البلاغي، الذي يتطلب إعادة النظر فيه وفهم محتواه ، وذلك بالسير وفق طرق مناهج الدراسة الحديثة، خاصة تلك التي جوهر دراستها الخطاب وما يؤثر فيه، ومحاولة الكشف عن عناصر التأثير بين علماء العرب وعلماء الغرب، لفك شيفرة الغموض الطاغي على معظم منطلقات النظريات الحديثة كنظرية الحجاج وغيرها.

وفي الأخير نسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المستنفعين الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يزيدنا عملاً وعلما نافعا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ملحق

ملحق

الخطبة رقم 1: خطبته في أهل العراق :

حطب أهل العراق فقال: ((لريحكم أنتن من ريح الابخر وإنما أنتم كما قال الله تعالى: وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ .

اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام: فقال القارىء: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالعراق من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله، فسكتوا فقال الحجاج من فوق المنبر: اسكت يا غلام، فسكت، فقال: يا أهل الشقاق، ويا أهل النفاق ومساوىء الاخلاق. يسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون عليه السلام؟ هذا أدب ابن أبيه؟؟ والله لئن بقيت لكم لاؤدبنكم أدبا سوى أدب ابن أبيه، ولتستقيمن لي أو لاجعلن لكل امرئ منكم في جسده وفى نفسه شغلا.

اقرأ كتاب أمير المؤمنين يا غلام، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما بلغ إلى موضع السلام صاحوا وعلى أمير المؤمنين السلام ورحمة الله وبركاته)).[1]

الخطبة رقم 2 : خطبته حين ولي العراق:

خرج الحجاج يريد العراق واليًا عليها في اثني عشر راكبًا على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار. وقد كان فشا أمر الخوارج وتفاقم، وتثاقل الناس عن اللحاق بالمهلب الذي كان يناجزهم. فصعد المنبر وهو ملثم بعمامة حمراء. فقال: علي بالناس، فحسبوه وأصحابه خوارج فهموا به. حتى إذا اجتمع الناس قام ثم كشف عن وجهه وقال:

((أنا ابن جَلا وطلاَّع الثنايا *** متى أضع العمامة تعرفـوني

أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذُوه بنعله وأجزيه بمثله، واني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها. وإني لصاحبها، وإني لأنظر الدماءَ بين العمائم واللحى تترقرق)) [2]:

ثم قال : ((هذا أوان الشد فاشتدي زيم **** قد لفها الليل بسواق حطم

[1] العسكري، الأوائل، ص 326 -327.

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 38 .

ليس براعي إبل ولا غنم **** و لا بجزار على ظهر وضم

و قال أيضا : وقد لفها الليل بعصبلي **** أروع خرّاج من الدوى)).[1]

((إني والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق. لا يغمز جانبي كتغماز التنين، ولا يقعقع لي بالشنان، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، وأجريت مع الغاية، وأن أمير المؤمنين نثر كنانته ثم عجم عيدانها، فوجدني أمرّها عودا وأشدها مكسرًا، فوجهني إليكم ورماكم بي، فإنه قد طالما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغي، وأيم الله لألحونكم لحو العصا. ولأقرعنكم قرع المروة، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، أما والله لا أعد إلا وفيت، ولا أخلف إلا فريت، وإياي وهذه الزرافات والجماعات، وقال وقيل، وما يقولون وفيم أنتم، والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده، من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه وانتهبت ماله وهدمت منزله)).[2]

الخطبة رقم 3: خطبته بعد دير الجماجم:

خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال:

((يا أهل العراق، إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم، والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء،والشغاف، ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشّش، ثم باض وفرّخ، فحشاكم نفاقا وشقاقا، وأشعركم خلافا، واتخذتموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيرونه، فكيف تنفعكم تجربة؟، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم إسلام، أو ينفعكم بيان.. ألستم أصحابي بالأهواز؟، حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته، وأنا أرميكم بطرْفي: وأنتم تسلّلون لواذا، وتنهزمون سراعا. ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية، به كان فشلكم، وتنازعكم وتخاذلكم، وبراءة الله منكم ونكوص وليّكم عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها، النوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه، ولا يلوي الشيخ على بنيه، حين عضّكم السلاح، ووقصتكم الرماح، يوم دير

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 308-309

[2] موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، ص 29

الجماجم، وما يوم دير الجماجم، ؟! به كانت المعارك والملاحم، بضربٍ يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق، الكفرات بعد الفجرات، والغدرات بعد الخترات، والنزوة بعد النزوات! إن بعثتُكم إلى ثغوركم غَلَلْتُم وخُنتم وإن أمِنتم أرْجَفْتُم وإن خِفتُم نافقتم. لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة. هل استخفَّكم ناكثٌ، أو استغواكم غاوٍ، أو استفزّكم عاص، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع إلا تبعتموه وآويْتموه، ونصرتموه ورَجَبْتُموه.

يا أهل العراق، هل شَغَبَ شاغبٌ، أو نَعَب ناعب، أو زَفَر زَافر إلا كنتم أتباعه وأنصاره. يا أهل العراق، ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟! ثم التفت إلى أهل الشام فقال: يا أهل الشام إنما أنا لكم كالظليم الرَّامِحِ عن فراخه، ينفي عنها المَدَر، ويُباعد عنها الحجَر، ويُكنُّها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب. يا أهل الشام، أنتم الجنّة والرداء، وأنتم العّدة والحذاء)).[1]

الخطبة رقم 4:

حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن دُرَيْد قَالَ، حَدَّثَنَا أَحْمَد بن عِيسَى عَن الْعَبَّاس بْن هِشَام عَنْ أَبِيه عَن عوَانَة قَالَ: خطب الحجاجُ الناسَ بِالْكُوفَةِ فحمدَ الله وَأثْنى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: ((يَا أهل الْعرَاق، تزعمونَ أنَّا من بَقِيَّة ثَمود، وتزعمون أَنِّي سَاحر، وتزعمون أنَّ الله عزَّ وَجَلَّ علَّمني اسْما من أَسْمَائِهِ أقهركم بِهِ، وَأَنْتُم أولياؤُهُ بزعمكم وَأَنا عدوه، فبيني وَبَيْنكُم كتاب الله تَعَالَى. قَالَ " عَزَّ وجلَّ: " فلمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نجَّينا صَالِحًا والَّذين آمَنُوا مَعَهُ " هود " 66 " فنحنُ بقيةُ الصالِحين إنْ كنَّا من ثَمود. وَقَالَ جلّ وَعز: " إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى " " طه:69 " وَالله أعدلُ فِي حكمه من أَن يعلّمَ عدوا من أعدائِهِ اسْما من أَسْمَائِهِ يهزمُ بِهِ أولياءه. ثُمَّ حَمِيَ من كَثْرَة كَلَامه فتحامل على رمَّانة الْمِنْبَر فحطمها، فَجعل النَّاس يتلاحظونَ بَينهم وَهُوَ ينظرُ إِلَيْهِم، فَقَالَ: يَا أَعدَاء اللَّه مَا هَذَا الترامز؟ أَنا حُدَيا الظبي السانحِ والغرابِ الأبقع والكوكب ذِي الذَّنب، ثُمَّ أَمر بذلك العودِ فأُصْلِح قبل أَن ينزل من الْمِنْبَر)).[2]

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 138-139 -140 .

[2] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 647.

الخطبة رقم 5:

خطب "الحجاج" أهل العراق فقال ((يا أهل العراق، بلغني أنكم تروون عن نبيكم أنه قال: «من ملك على عشرة رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه، حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور» ! وايم الله إني لأحبُّ إليّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا)).[1]

الخطبة رقم 6: خطبته وقد سمع تكبيرا في السوق:

قال الهيثم: أنبأني ابن عيَّاش عن أبيه قال: خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة، فسمع تكبيرا في السوق، فراعه ذلك، فصعد المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيّه ثم قال:

((يا أهل العراق، يا أهل الشِّقاق والنِّفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللَّكيعةِ، وعبيدَ العصا، وأولادَ الإماء، والفَقْعِ بالقَرْقرِ، إني سمعت تكبيرا لا يُراد به الله، وإنما يُراد به الشيطان. وإنما مثلي ومثلكم ما قال عَمرو ابن برَّاقة الهمذاني:

وكنت إذا قومٌ غزَوْني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لَهَمْدان ظالمُ

متى تجمَع القلبَ الذكيَّ وصارماً وأنْفًا حَمِيًا تجتنِبْك المظالم

أما والله لا تقرَعُ عصًا عصًا إلا جعلتها كأمْسِ الدَّابر)).[2]

الخطبة رقم 7:

أرجف الناس بموت الحجّاج، فخطب فقال:

((إنّ طائفة من أهل العراق، أهل الشقاق والنفاق، نزغ الشيطان بينهم، فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج! فمه! وهل يرجو الحجّاج الخير إلا بعد الموت! والله ما يسرّني ألّا أموت وأنّ لي الدنيا وما فيها! وما رأيت الله رضي بالتخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس. ولقد دعا الله العبد الصالح فقال: رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، فأعطاه ذلك إلا البقاء. فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل!. كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا، وبكل رطب يابسا، ونقل في ثياب أكفانه إلى

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 304 – 305.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص 13-138.

ثلاث أذرع طولا في ذراع عرضا، وأكلت الأرض لحمه ومصّت صديده، وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول، ثم نزل)).[1]

الخطبة رقم 8:

خطب الحجاج أهل العراق فقال ((يأهل العراق إني لم أجد لكم دواء أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل، فإنها تعقب راحة وإني لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الرّاحة بكم؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتي، أنا والله لرؤيتكم أكره، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حمّلت نفسي مقاساتكم والصبر على النظر إليكم؛ والله أسأل حسن العون عليكم! ثم نزل)).[2]

الخطبة رقم 9: خطبته لما مات عبد الملك:

((أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى نعى نبيّكم صلّى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ؛ وقال: وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ؟ فمات رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية؛ ثم وليكم البازل الذكر الذي جرّبته الأمور، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ؛ فكان رابعا من الولاة المهديين الراشدين؛ فاختار الله له ما عنده، وألحقه بهم، وعهد إلى شبهه في العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته؛ فاسمعوا له وأطيعوه.

أيها الناس؛ إياكم والزّيغ ؛ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله، ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافكم، وقبلتكم على معرفتي بكم؛ ولو علمت أنّ أحدا أقوى عليكم مني، أو أعرف بكم، ما وليتكم؛ فإياي وإياكم؛ من تكلم قتلناه؛ ومن سكت مات بدائه غما! ثم نزل)).[3]

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 266 – 267 .

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 4، ص 207.

[3] المرجع نفسه، ج 4، ص 209.

الخطبة رقم 10: خطبة له بالبصرة

خطب في أهل البصرة فقال: ((اتقوا الله ما استطعتم. فهذه لله وفيها مثوبة. ثم قال: «واسمعوا وأطيعوا» . فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان، والله لو أمرت الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره، لكانت دماؤهم لي حلالا من الله، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لي حلالا. عذيري من هذه الحمراء ، يرمي أحدهم بالحجر إلى السماء ويقول: يكون إلى أن يقع هذا خير. والله لأجعلنّهم كأمس الدابر؛ عذيري من عبد هذيل، إنه زعم أنه آمن عند الله، يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب؛ والله لو أدركته لقتلته)).[1]

الخطبة رقم 11: خطبة له بالبصرة أيضا:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:((إن الله كفانا مئونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا. مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيّعون ما به أُمرتم، إن العلم يوشك أن يرفع، ورفعه ذهاب العلماء. ألا وإني أعلم بشراركم من البيطار بالفرس: الذين لا يقرؤن القرآن إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ؛ ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر؛ ألا وإن الآخرة أجل مستأخر يحكم فيه ملك قادر؛ ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى، ألا وإن الخير كلّه بحذافيره في الجنة؛ ألا وإن الشرّ كلّه بحذافيره في النار؛ ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرا يره وأستغفر الله لي ولكم)).[2]

الخطبة رقم 12: وَصِيَّة الحَجَّاج بِأَهْل الْبَصْرَة:

((حَدَّثَنَا الْحُسَيْن بْن أَحْمَد الْكَلْبِيّ: قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن زَكَرِيّا، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْد الله بن مُحَمَّد بن عَائِشَة: قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي: قَالَ: أَرَادَ الحَجَّاج الْخُرُوج من الْبَصْرَة إِلَى مكَّة فَخَطب النّاس، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَة إِنِّي أُرِيد الْخُرُوج إِلَى مكَّة وَقد استخلفتُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدًا ابْني وأوصيته فِيكُم بِخِلَاف مَا أوصى بِهِ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَنْصَار، فَإِنَّهُ أوصى فِي الأَنْصَار أَن يُقْبل من محسنهم وَلَا يتَجَاوَز

[1] المرجع السابق، ج 4 ، ص 206.

[2] المرجع نفسه، ج 4، ص 206 – 207 .

عَنْ مسيئهم، أَلا وَإِنِّي قَدْ أوصيته فِيكُم أَلا يقبل من مُحْسنكم وَلَا يتَجَاوَز عَنْ مسيئكم، أَلا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ بعدِي كلمة لَيْسَ يَمْنعكم من إظهارها إِلَّا الْخَوْف، أَلا وَإِنَّكُمْ قَائِلُونَ: لَا أحسن الله لَهُ الصَّحَابَة، إِنِّي معجلٌ لَكُم الْجَواب: لَا أحسن اللَّه عَلَيْكُم الْخلَافَة)).[1]

الخطبة رقم 13: خطبته قبل قتال ابن الزبير:

ومن غير رواية أبي عبيد قال: ((لما نصب الحجاج المجانيق لقتال عبد الله بن الزبير، أظلتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق؛ ففزع الناس وأمسكوا عن القتال، فقام فيهم الحجاج فقال: أيها الناس، لا يهولنّكم هذا؛ فإني أنا الحجاج ابن يوسف وقد أصحرت لربي، فلو ركبنا عظيما لحال بيننا وبينه ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها. ثم أمر بكرسي فطرح له، ثم قال: يا أهل الشام، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين)).[2]

الخطبة رقم 14: خطبته بمكة بعد مقتل ابن الزبير :

لما قَتَل الحجاجُ عبد الله بن الزبير، ارتجَّت مكة بالبكاء، فصعد المنبر فقـال: ((ألا إن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله، واستكنّ بحرم الله، ولو كان شيء مانعا للعُصاة لمَنع آدم حرمة الجنة، لأنَّ الله تعالى خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وأباحه جنته، فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمةً من الكعبة)).[3]

الخطبة رقم 15:

وخطبَ الْحجَّاج مرّة فَقَالَ ((اللَّهُمَّ أَرِنِي الغي غياً فأجتنبَه، وَأَرِنِي الهُدي هدى فَأتبعهُ، وَلَا تكلْني إِلَى نفْسي فأضل ضلالا بَعيدا. وَالله مَا أحب أَن مَا مضى من الدُّنْيَا بعمامتي هَذِه، وَلما بَقِي مِنْهَا أشْبهُ بِمَا مضى من الماء بِالْمَاءِ)).[4]

---

[1] النهرواني، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، ص 57.

[2] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 5، ص 165.

[3] زكي صفوت أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، ص 273-274

[4] الآبي، نثر الدر في المحاضرات، ج 5، ص 19 .

الخطبة رقم 16:

خطب الحجاج فقال: ((أيها الناس إنكم أغراض حمام، وفرضة هلكة، قد أنذركم القرآن، وصفر برحيلكم الجديدان، وإن لكم أجلاً لا تُؤخر ساعته، ولا تُدفع مقدمته، وكأن قد دلفت إليكم نازلته فنعق بكم، وحثكم حث مستقصى، فماذا عبأتم للرحيل؟ وماذا أعددتم للنزول؟ ومن لم يأخذ أهبة الحذر، نزل به سوء القدر. هذا قد تقدم)).[1]

[1] التوحيدي، البصائر والذخائر، ج 5، ص 46.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم بن أبي النجود.

الكتب:

1) الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي، نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004م، ج 5.

2) أحمد قاسم، محمد – ديب، محيي الدين، علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط 1، 2003 م.

3) أحمد نحلة، محمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، دط، 2002م.

4) أدراوي، العياشي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2011.

5) أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط – المغرب، دط، 1986م.

6) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط2، 1420 هـ - 1999م، ج 1.

7) ابن الإفليلي، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، شَرْح شِعْر المتَنبي (السفر الأول)، تح: عليَّان مُصْطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1992م، ج 2.

8) الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 1، 1992م، ج 1.

9) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 2001م.

10) البستاني، بشرى، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط 1، 2012م.

11) بغورة، الزواوي، الفلسفة واللغة نقدُ (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة، دار الطلبة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 2005م.

12) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس – عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1983م.

13) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر، ط 1 ، 2019م.

14) بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية مقاربة بين التداولية والشعر(دراسة تطبيقية)، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة – الجزائر، ط 1، 2012م.

15) التهانوي، محمد بن علي، تح رفيق العجم – علي دحروج، موسوعة كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 1996م، ج1.

16) التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تح وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1408هـ – 1988م، ج5.

17) التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، الصداقة والصديق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 1998م.

18) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مر: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1422 هـ – 2002م، ج4.

19) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، ج1+ ج 2.

20) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1424 هـ – 2003م، ج 7.

21) جاد الربّ، محمود، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر، ط1، 1985م.

22) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1983م.

23) حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط15، دس، ج3.

24) حمداوي، جميل، نظريات الحجاج، شبكة الألوكة، دط، دس، www.alukah.net .

25) الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي ابن حجة، ثمرات الأوراق في المحاضرات، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، دط، دس، ج1.

26) الحِميرى، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط 2، 1980م.

27) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، 1900م، ج 2.

28) ذنون طه، عبد الواحد، العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط 2. 2005م.

29) روبول، آن – موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني، مر: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د1، 2003م.

30) الريفي، هشام، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، شر: حمادي صمودي، كلية الآداب منوبة، جامعة تونس، دط، دس.

31) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط 1969م، ج 5.

32) زكي صفوت، أحمد، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزاهرة، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، دط، 2011م.

33) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، ج1.

34) الزيَّاد، الأزهر، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.

35) زيادة، محمود، الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه، دار السلام الأزهر، مصر، ط1، 1995م.

36) السبعاوي، طه عبد الله محمد، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط دس.

37) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987م، ج1.

38) سلامه، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط1، 1950م.

39) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ج3.

40) سيرفوني، جان، الملفوظية (دراســة)، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دط، 1998م.

41) الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004.

42) صحراوي، مسعود، التداولية اليوم عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الفعل الكلامي في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005 م.

43) صمود، حمادي: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، جامعة تونس، دط، دس.

44) صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، ط2، 2007م.

45) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط 10، دس.

46) الطبطبائي، طالب سيد هاشم، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، دط، 1996م.

47) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، دار التونسية للنشر، تونس ، دط، 1984م، ج 3 + ج 5.

48) العباسي، أبو الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، دط، 1947م، ج 1 + ج 2.

49) ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ - 1983م، ج1 + ج4 + ج5.

50) أبو عبد الرحمن، جمال بن محمد بن محمود، سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي ماله وما عليه، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 2004م.

51) عبد الرحمن، طه، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2.

52) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998م.

53) عبد المجيد، جميل، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة – مصر، دط، 2000م.

54) عبده شلبي، عبد الجليل، الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط3، 1987م.

55) عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان، ط 1، 2009م.

56) العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة النشر، بيروت – لبنان، ط1، 2010م.

57) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، سور الأزبكية، ط1، 2006م.

58) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الأوائل، دار البشير، طنطا– مصر، ط 1، 1408 هـ – 1987م.

59) عطا الله، محمد، الإقناع في الخطاب الحجاجي (مقاربة لوسائل الإقناع في عيون البصائر)، دار الذهب الأسود، حاسي مسعود – ورقلة، ط1، 2013م.

60) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م، ج 1 + ج 2.

61) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1986م،ج1.

62) العمري، محمد، البلاغة العربية أصولها وامتدادها، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط 1999م.

63) العمري، محمد، البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 1999م.

64) العمري، محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، دار إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.

65) عونى، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دط، دس، ج 2.

66) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، دط 1399هـ - 1979م ، ج 2.

67) الفراهيدي، الخليل ابن أحمد، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2003م، ج 3.

68) الفرزدق، ديوان الفرزدق، تح: قاعور علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

69) فضل، صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم الفكر، الكويت، دط، 1992م.

70) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1418هـ – 1997م، ج 2.

71) القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، جمهرة أشعار العرب، تح: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، دس.

72) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة – مصر، ط1، 1998م، ج 12.

73) كريستيان، بلانتان، الحِجاج، تر: عبد القادر المهيري – عبد الله صولة، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2009م.

74) الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء الحنفي الحسيني القريمي، كتاب الكليات، تح: عدنان دوريش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، دط، 1998م.

75) لاينز، جون، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهَّاب، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، بغداد، ط1، 1987م.

76) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تفسير الماوردي = النكت والعيون، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دط، دس، ج 5.

77) المبرَّد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 1997م، ج 2 + ج4.

78) محفوظ، علي، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار النصر، شبرا – مصر، دط، 1984م.

79) محمد الأمين الطلبة، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2008م.

80) محمد يونس علي، محمد، علم التخاطب الإسلامي (دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص)، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006م.

81) المرادي، حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة – محمد نديم فاضل، درا الكتب العلمية، بيروت، دط، 1992.

82) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ – 1993م، ج1 + ج 2 + ح 8 + ج11.

83) موسى، سلامة، أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، دار كلمات عربية للنشر والتوزيع، مصر، دط، 2011م.

84) موشلر، جاك – ريبول، آن، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة الأساتذة والباحثين بإشراف عز الدين المجدوب، مراجعت خالد ميلاد، دار سيانترا، تونس، ط 2، 2010م.

85) النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2005 م.

86) النويري، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423 هـ – 2002م، ج 7.

87) هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1979م.

88) الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، غريب الحديث، تح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، ط1، 1964م، ج 2.

89) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا، دط، دس.

90) ابن وهب، إسحاق أبو الحسين، البرهان في وجوه البيان، تح جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، دط، دس.

الرسائل الجامعية:

1) حمدان، سليم، أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008م – 2009م.

المجلات والدوريات:

1) مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، الغامدي جمعان بن عبد الكريم، الحِجاج في الخُطبة النبويَّة، العدد 10، ماي 2013 م.

2) مجلة عالم الفكر، الراضي، رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، العدد 1، المجلد 34، 2015.

3) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، سرحان هيثم، الحِجاج عند الجاحظ (بحث في المرجعيات والنصيات والآليات)، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ، العدد 115 – 2011م.

4) مجلة علوم إنسانية، بوزناشة نور الدين، الحجاج في الدرس اللغوي الغربي، العدد 44، 2010م، WWW.ULUM.NL.

5) مجلة فكر ونقد، أوكان عمر، مقدمة في البلاغة العربية القديمة، المغرب، العدد 25، 12 جانفي 2000 م. http://www.aljabriabed.net/indexl.htm

6) مجلة قراءات، بن خرّاف ابتسام، تلقي النص البلاغي عند الدكتور محمد العمري (مقاربة وصفية تحليلية)، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءات ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد 5، 2013م.

7) مجلة المَخْبَر، لهويمل باديس، التداولية والبلاغة العربية، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 7، 2015م.

8) مجلة المخبر ، حشاني عباس، مصطلح الحجاج بواعثه و تقنياته، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 9، 2013م

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ – ث
المدخل ***مفاهيم أولية في الحجاج والتداولية***	
توطئة	07
أولا: مفهوم التداولية	07
1 – تعريف التداولية لغة	07
2 – تعريف التداولية اصطلاحا	08
أ – تعريفات مرتبطة بحقل نشأة التفكير التداولي	09
ب – تعريفات مرتبطة بحقل موضوع التداولية ووظيفتها	10
ت – من حيث التواصل والأداء	10
3 – من قضايا التداولية	11
أ – أفعال الكلام	11
ب – الملفوظية	12
ت – السياق	13
ثانيا : مفهوم الحِجَاج	14
1 – تعريف الحِجَاجْ	14
أ – التعريف اللغوي	14
ب – التعريف الاصطلاحي	14
2 – الحجاج بين الجدل و الخطابة	15

أ – تعريف الجدل	15
ب – تعريف الخطابة	16
ت – علاقة الجدل والخطابة بالحجاج	17
3 – علاقة الحجاج بالإقناع	17
الفصل النظري ***الحجاج وآلياته اللغوية***	
توطئة	21
أولا : الحجاج في الجذور الغربية والعربية	22
1 – الحجاج في الدراسات القديمة	22
أ – الحجاج عند العرب قديما	22
– الحجاج في القرآن الكريم والسنة	22
– الحجاج في البلاغة العربية القديمة	24
*الحجاج في التوجه البلاغي الخطابي لدى الجاحظ	24
*الحجاج في التوجه البلاغي البياني عند ابن وهب	26
*الحجاج في التوجه البلاغي المنطقي لدى السكاكي	27
ب – الحجاج في البلاغة الغربية القديمة	29
– ما يدين به الحجاج للسفسطائيين	30
– الحجاج عند أفلاطون: *Platon*	31
– الحجاج عند أرسطو: Aristote	32
2– الحجاج في الدرس الحديث	33
أ – الحجاج عند العرب حديثا	33
– الحجاج عند محمد العمري	33
– الحجاج عند طه عبد الرحمان	34

– الحجاج عند أبو بكر العزاوي	35
ب – الحجاج في الدراسات الغربية حديثا	36
– البلاغة الجديدة أو الحجاج عند بيرلمان (Chaim Perelman)	36
- الحجاج في التداولية عند "ديكرو"	38
ثانيا – الآليات اللغوية في الاستراتيجية الحجاجية	40
1 – الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية:	40
أ – الأدوات اللغوية:	40
– العلَم	40
– ألفاظ المعجم	42
– الإشاريات	43
ب – الآليات اللغوية	44
– المكاشفة	44
– نكران الذات	45
– الإعجاب (أسلوب التعجب)	45
- التصغير	46
– الطرفة	46
– المصانعة	47
– اللغة الخاصة	48
– تأنيب الذات	48
2 – الآليات اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية:	49
أ– الأمر	49
ب – النهي	50
ت – الاستفهام	51
ث – التحذير	52
ج – الإغراء	53

ح – التحضيض والعرض	53
خ – النداء	54
د – التوجيه بألفاظ المعجم:	54
ذ – التوجيه بذكر العواقب:	54
3 – الآليات اللغوية الاستراتيجية التلميحية	55
أ– ألفاظ الكنايات التلميحية	55
ب – الأفعال اللغوية غير المباشرة	56
ت – الملمحات	57
ثالثا – تقنيات الحجاج اللغوية	58
1 - ألفاظ التعليل	58
2 - الوصف	58
أ – الصفة (النعت)	58
ب – اسم الفاعل	59
ت – اسم المفعول	59
3 – تحصيل الحاصل	60
4 - الحجاج بالتبادل	60
5 - السلم الحجاجي والروابط الحجاجية	61
أ – السلم الحجاجي	61
ب - الروابط الحجاجية	62
الفصل التطبيقي ***آليات الحجاج اللغوية في خطب "الحجاج"***	
توطئة	65
أولا : التعريف بصاحب الخطب	66
1 – حياة "الحجاج بن يوسف"	66
أ– اسمه ونسبه	66

ب – موله ونشأته	66
ت – بداية ظهوره	67
ج – صفاته وتقويم شخصيته	68
ح – قصة وفاة الحجاج	69
2 – العوامل التي ساعدت في ظهور المضامين الخطابية عن الحجَّاج	70
أ – العامل السياسي	70
ب – العامل العقلي	71
ت – العامل الديني	71
ثانيا : آليات التوجيه الحجاجي في خطب "الحجاج"	73
1 – النداء	73
2 – الأمر	77
3- النهي	79
4 – الاستفهام	80
5 – التحذير	83
6 – الإغراء	84
7 – التوجيه بألفاظ المعجم	85
9 – التوجيه بذكر العواقب	86
ثالثا: الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية والتلميحية	89
1 – الوسائل اللغوية التضمنية في خطب الحجاج	89
أ – العلم	89
ب – ألفاظ المعجم	90
ت- الإشاريات	90
2 – الآليات اللغوية التلميحية في خطب الحجاج	91
أ – ألفاظ الكنايات التلميحية	92
ب – الأفعال اللغوية غير المباشرة	94

ت – الملمحات ودورها الحجاج	96
رابعا: تقنيات الإقناع اللغوية في خطب "الحجاج"	98
1 – تحصيل الحاصل	98
2 – الوصف	102
3- ألفاظ التعليل	107
4– الحجاج بالتبادل	108
خامسا: السلالم الحجاجية والروابط الحجاجية	109
1 - السلالم الحجاجية	109
2– الروابط الحجاجية	118
خاتمة	123
ملحق	127
قائمة المصادر والمراجع	136
فهرس الموضوعات	146